

# الحجج النقلية والعقلية

فما يتناهى الاسلام منه بدمع الجبرمية والصوفية

كاللول والاتحاد، ووحدة الوجود، وأتقى القدر

أو الاحتجاج به على الرضا بالمعاصي

والصائب



تأليف: محمد

شيخ الاسلام الامام ابن تيمية  
قد سر التيسره

القسم الثاني من هذا المجموع

**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi  
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ  
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ



137170

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



وبه نستعين وعليه نتوكل

سئل شيخنا الامام الرباني شيخ الاسلام ، بحر العلوم امام الامة ، ناصر السنة ،  
علامة الوري ، وارث الانبياء ، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ،  
عن كلمات وجدت بخط من يوثق به ، ذكرها عنه جماعة من الناس ، فيهم من  
انتسب الى الدين

فمن ذلك : قال بعض السلف : ان الله لطيف ذاته فيماها حقاً ، وكثفها فيماها خلقاً .  
وقال الشيخ نجم الدين بن اسراييل : ان الله ظهر في الاشياء حقيقة ،  
واحتجب بها مجازاً ، فمن كان من أهل الحق واجمع شهدها مظاهر ومجالي ،  
ومن كان من أهل المجاز والفرق شهدها ستوراً وحجبا . وقال في قصيدة له :  
لقد حق لي رفض الوجود وأهله وقد علت كفاي حقاً بموجدي  
ثم بعد مدة قال :

\* لقد حق لي عشق الوجود وأهله \*

فسألته عن ذلك فقال : مقام البداية أن يرى الاكوان حجبا فيرفضها ، ثم  
يراهم مظاهر ومجالي فيحقق له العشق لها ، كما قال بعضهم :

أقبل أرضاً سار فيها جاهلها فكيف بدار دار فيها جاهلها ؟

قال : وقال ابن عربي عقيب انشاد بيتي أبي نواس :

رق الزجاج وراقت الخمر وتشابك فتشابه الامر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

لبس صورة العالم فظاهره خلقه ، وباطنه حقه  
 وقال بعض السلف: عين ماترى ذات لاترى ، وذات لاترى عين ماترى ،  
 الله فقط ، والكثرة وهم  
 وقال الشيخ قطب الدين بن سبعين : رب مالك ، وعبد هالك ، وأنتم ذلك .  
 الله فقط ، والكثرة وهم

وقال الشيخ محيي الدين بن عربي:

يا عمورة إنس سرها معنائي      ما خلقك إلا امر يرى لولائي  
 شئتاك فأنشأناك خلقاً بشراً      لتشهدنا في أكمل الأشياء

وفيه : طلب بعض أولاد المشايخ من والده الحج ، فقال له الشيخ : يا بني  
 طف بيت ما فارقه الله طرفه عين .

قيل وقيل عن رابعة العدوية: أنها حجت فقالت: هذا الصنم المعبود في الأرض ،  
 والله ما ولج الله ولا خلا منه  
 وفيه للحلاج :

سبحان من أظهر ناسوته      سر سنا لاهوته الثاقب  
 ثم بدا مستتراً ظاهراً      في صورة الآكل والشارب

قال وله :

عقد الخلائق في الآله عقائداً      وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه  
 وله أيضاً :

بيني وبينك إني تراحمي      فارفع بحمك اني من البين

قال وقال الشيخ شهاب الدين السهروردي الحلبي : وبهذه الإينية التي طمب  
 الحلاج رفعها تصرفت الأغيار في دمه ، ولذلك قال السلف : الحلاج نصف رحل  
 وذلك انه لم يرفع له الإينية بالمعنى فرفعت له صورة

وفيه لمحبي الدين بن عربي :

والله ماهي إلا حيرة ظهرت وبني جلفت وان المقسم الله

وفيه : المنقول عن عيسى عليه السلام انه قل « ان الله اشتاق بأن يرى ذاته المقدسة فخلق من نوره آدم عليه السلام وجعله كالمراة ينظر الى ذاته المقدسة فيها، وإني أنا ذلك النور وآدم المراة . قال ابن الفارض :

وشاهد اذا استجلبت نفسك من ترى بغير مرآة في المرآة الصقيلة

أغيرك فيها لاح أم أنت ناظر اليك بها عند انعكاس الأشعة ؟

قال وقال ابن اسرائيل، الأمر أمران : أمر بواسطة ، وأمر بغير واسطة .

فالأمر الذي بالوسائط رده من شاء الله وقبله من شاء الله . والأمر الذي بغير

واسطة لا يمكن رده ، وهو قوله تعالى ( انما أمرنا لشيء اذا أردناه أن نقول له

كن فيكون ) فقال له فقير : إن الله قل لا دم بلا واسطة : لا تقرب الشجرة . فقرب

وأكل . فقال صدقت ، وذلك أن آدم انسان كامل ، ولذلك قال شيخنا علي

الحريري آدم صفي الله تعالى ، كان توحيداً ظاهراً وباطناً ، فكان قوله لا دم

« لا تقرب الشجرة » ظاهراً وكان أمره « كل » باطناً ، وابليس كان توحيداً

ظاهراً ، فأمر بالسجود لا دم فرآه غيراً فلم يسجد فغير الله عليه وقال ( اخرج منها )

وقال شخص ياسيدي حسن ، اذا كان الله يقول لنبيه ( ليس لك من الأمر

شيء ) ايش نكون نحن ؟ فقال له ليس الأمر كما تقول أو تظن ، فقوله له ( ليس

لك من الأمر شيء ) عين الاثبات للنبي ﷺ كقوله تعالى ( وما رميت إذ رميت

ولكن الله رمى \* ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم )

وفيه لأوحد الدين الكرمانى

ماغبت عن القلب ولا عن عيني ماينكم وبيننا من بين

وقال غيره :

لا تحسب بالصلاة والصوم تنال      قربا ودنواً من جمال وجلال  
فارق ظلم الطبع وكن متحداً      بالله والا كل دعواك محال  
وغيره للحلاج :

اذا بلغ الصب الكمال من الهوى      وغاب عن المذكور في سطوة الذكر  
يشاهد حقا حين يشهده الهوى      بأن صلاة العارفين من الكفر  
ولا بن اسرائيل :

الكون يناديك ألا تسمعي      من ألف أشتاتي ومن فرقي  
أنظر لتراني منظرًا معتبرا      مافي سوى وجود من أوجدني  
وله أيضا :

ذرات وجود الكون للحق شهود      أن ليس لوجود سوى الحق وجود  
والكون وإن تكثرت عدته      منه والى علاه يبدو ويعود  
وله أيضا :

برئت اليك من قولي وفعلي      ومن ذاتي براءة مستقيل  
وما أنا في طراز الكون شيء      لاني مثل ظل مستحيل  
وللعفيف التمساني :

أحن اليه وهو قاي وهل يرى      سواي أخو وجد يحن لقلبه ؟  
ويحجب طرفي عنه إذ هو ناظري      وما بؤمه إلا لافراط قربه  
وقال بعض السلف : التوحيد لا لسان له ، والالسننة كلها لسانه .

ومن ذلك أيضا : التوحيد لا يعرفه إلا الواحد ، ولا تصح العبارة عن الواحد ،  
وذلك أنه لا يمبر عنه إلا بغيره ومن أثبت الغير فلا توحيد له

قال : وسمعت الشيخ محمد بن بشر النواوي يقول ورد سيدنا الشيخ علي  
الحريري الى جامع نوى ، قال الشيخ محمد : فبئت اليه فقبلت ، الارض بين يديه

وجالست ، فقال : يا بني وقفت مع المحبة مدة فوجدتها غير انقصود ، لان المحبة لا تكون إلا من غير لغير ، وغير مائم ، ثم وقفت مع التوحيد مدة فوجدته كذلك ، لان التوحيد لا يكون إلا من عبد لرب ، ولو أنصف الناس ما رأوا عبداً ولا معبوداً وفيه : سمعت من الشيخ نجم الدين بن اسرائيل ما أسر إلي انه سمعه من شيخنا الشيخ علي الحريري في العام الذي توفي فيه ، قال يا نجم ، رأيت لهاتي الفوقانية فوق السموات وحنكي تحت الارضين ، ونطق لساني بلنظة لو سمعت مني ما وصل الى الارض من دمي قطرة . فلما كان بعد ذلك بمدة قال شخص في حضرة الشيخ حسن بن علي الحريري : يا سيدي حسن ، ما خلق الله أقل عقلاً ممن ادعى انه إله مثل فرعون ونمرود وأمثالهما ، فقال : إن هذه المقالة لا يقولها إلا أجهل خلق الله أو أعرف خلق الله ، فقلت له صدقت وذلك انه قد سمعت جدك يقول رأيت كذا وكذا - فذكر ما ذكره الشيخ نجم الدين عن الشيخ وفيه قال بعض السلف : من كان عين الحجاب على نفسه فلا حاجب ولا محجوب

\*

فالمطلوب من السادة العلماء أن يبينوا هذه الأقوال ، وهل هي حق أو باطل؟ وما يعرف به معناها؟ وما يبين أنها حق أو باطل؟ وهل الواجب انكارها ، أو اقرارها ، أو التسليم لمن قالها؟ وهل لها وجه سائغ؟ وما الحكم فيمن اعتقد معناها ، امام المعرفه بحقيقتها؟ واما مع التسليم المجمل لمن قالها؟ والمتكلمون بها ، هل أرادوا معنى صحيحاً يوافق العقل والنقل؟ وهل يمكن تأويل ما يشكل منها ويحمل على ذلك المعنى؟ وهل الواجب بيان معناها وكشف مغزاها ، اذا كان هناك قوم يؤمنون بها ولا يعرفون حقيقتها؟ ام ينبغي السكوت عن ذلك وترك الناس يعظمونها ويؤمنون بها مع عدم العلم بمعناها؟ يبنوا ذلك مأجورين

فأجاب رضي الله عنه:

الحمد لله رب العالمين . هذه الاقوال المذكورة تشتمل على أصلين باطلين  
مخالفين لدين المسلمين واليهود والنصارى مخالفتها للمنقول والمعقول

## الأصل الاول لضلال المتصوفة

### الحلول والاتحاد

الحلول والاتحاد وما يقارب ذلك ، كالفول بوحدة الوجود ، وكالذين  
يقولون : ان الوجود واحد ، فالوجود الواجب للخالق هو الوجود الممكن  
للمخلوق ، كما يقول ذلك أهل الوحدة ، كابن عربي وصاحبه القونوي وابن سبعين  
وابن الفارض صاحب القصيدة التائية ( نظم السلوك ) وعامر البصري السيواسي  
الذي له قصيدة تناظر قصيدة ابن الفارض ، والتلمساني الذي شرح مواقف النفري (١)  
وإيه شرح الاسماء الحسنى على طريقة هؤلاء ، وسعيد الفرغاني الذي شرح قصيدة  
ابن الفارض ، والششتري صاحب الازجال الذي هو تلميذ ابن سبعين ، وعبد الله  
البلباني ، وابن أبي المنصور المتصوف المصري صاحب ( فك الازرار عن أعناق  
الاسرار ) وأمثالهم .

نم من هؤلاء من يفرق بين الوجود واشتوت كما يقوله ابن عربي ويزعم  
ان الاعيان ثابتة في العدم غنية عن الله في أنفسها ، ووجود الحق هو وجودها ،  
والخالق مفتقر الى الاعيان في ظهور وجوده بها ، وهي مفتقرة اليه في حصول  
وجودها الذي هو نفس وجوده . وقوله مركب من قول من قال العدم شيء

(١) هو الشيخ محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفري الصوفي توفي سنة ٣٥٤

والتلمساني شارح موافقه هو عفيف الدين سايمان بن علي الصوفي الشاعر صاحب الديوان

المشهور توفي سنة ٦٩٠



وقول من يقول وجود الخالق هو وجود المخلوق، ويقول فالوجود المخلوق هو الوجود الخالق، والوجود الخالق هو الوجود المخلوق، كما هو مبسوط في موضع آخر ومنهم من يفرق بين الاطلاق والتعيين كما يقول القونوي ونحوه فيقولون: ان الواجب هو الوجود المطلق لا بشرط، وهذا لا يوجد مطلقاً إلا في الاذهان لافي الاعيان، فما هو كلي في الاذهان لا يكون في الاعيان إلا معينا وان قيل: ان المطلق جزء من المعين لزم أن يكون وجود الخالق جزءاً من وجود المخلوق، والجزء لا يبدع الجميع ويخلقه فلا يكون الخالق موجوداً.

ومنهم من قال: ان الباري هو الوجود المطلق بشرط الاطلاق كما يقول ابن سينا وأتباعه فقوله أشد فساداً. فان المطلق بشرط الاطلاق لا يكون إلا في الاذهان لافي الاعيان فقول هؤلاء بموافقة من هؤلاء الذين يلزمهم التعطيل شر من قول الذين يشبهون أهل الحلول والاتحاد

وآخرون يجعلون الوجود الواجب والوجود الممكن بمنزلة المادة والصورة التي تقولها المتفلسفة او قريب من ذلك كما يقوله ابن سبعين وأمثاله وهؤلاء أقوالهم فيها تناقض وفساد، وهي لا تخرج عن وحدة الوجود والحلول او الاتحاد، وهم يقولون بالحلول المطلق والوحدة المطلقة والاتحاد المطلق. بخلاف من يقول بالمعين كالنصارى والغالية من الشيعة الذين يقولون بالهية علي او الحاكم او الحلاج او يونس القيني أو غير هؤلاء ممن ادعت فيه الالهية. فان هؤلاء قد يقولون بالحلول المقيد الخاص واولئك يقولون بالاطلاق والتعميم. ولهذا يقولون ان النصارى إنما كان خطأهم في التخصيص (١) وكذلك يقولون في المشركين عباد الاصنام إنما كان خطأهم لانهم اقتصروا على بعض المظاهر دون بعض، وهم يجوزون الشرك وعبادة الاصنام مطلقاً على وجه الاطلاق والعموم

(١) أي تخصيص المسيح بالربوبية لافي جملة ربا وإلهها

ولا ريب ان في قول هؤلاء من الكفر والضلال ما هو أعظم من كفر اليهود والنصارى. وهذا المذهب شائع في كثير من المتأخرين وكان طوائف من الجهمية يقولون به وكلام ابن عربي في فصوص الحكم وغيره وكلام ابن سبعين وصاحبه الششتري وقصيدة ابن الفارض ( نظم السلوك ) وقصيدة عامر البصري وكلام العفيف التلمساني وعبدالله البلباني وأصدر أقونوي وكثير من شعر ابن اسرائيل وما ينقل من ذلك عن شيخه الحريري وكذلك نحوه يوجد في كلام كثير من الناس غير هؤلاء — هو مبني على هذا المذهب مذهب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود وكثير من أهل السلوك الذين لا يعتقدون هذا المذهب يسمعون شعر ابن الفارض وغيره فلا يعرفون أن مقصوده هذا المذهب ، فإن هذا الباب وقع فيه من الاشتباه والضلال ، ما حير كثير من الرجال

وأصل ضلال هؤلاء أنهم لم يعرفوا مباينة الله لمخلوقاته وعلوه عليها ، وعلموا أنه موجود فظنوا أن وجوده لا يخرج عن وجودها ، بمنزلة من رأى شعاع الشمس فظن أنه الشمس نفسها

### ﴿ الأقوال الأربعة للناس في الخالق تعالى ﴾

ولما ظهرت الجهمية المنكرة لمباينة الله وعلوه على خلقه افترق الناس في هذا الباب على أربعة أقوال ، فالسلف والائمة يقولون إن الله فوق سمواته مستو على عرشه بائن من خلقه كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الامة ، وكما علم المباينة والعلو بالمقول الصريح الموافق المنقول الصحيح . وكما فطر الله على ذلك خلقه من إقرارهم به وقصدهم إياه سبحانه وتعالى (والقول الثاني) قول معطلة الجهمية ونفاتهم ، وهم الذين يقولون: لا هو داخل العالم ولا خارج ، ولا مباين له ولا محايث له ، فينفون الوصفين المتقابلين الذين لا يخلو موجود عن أحدهما ، كما يقول ذلك أكثر المعتزلة ومن وفقهم من غيرهم

(والقول الثالث) قول حلولية الجهمية الذين يقولون : إنه بذاته في كل مكان كما يقول ذلك النجارية أتباع حسين النجار وغيرهم من الجهمية، وهؤلاء القائلون بالحلول والاتحاد من جنس هؤلاء ، فن الحلول أغلب على عباد الجهمية ووصوفيتهم وعامتهم . والنفي والتعطيل أغلب على نظارهم ومتكلميهم ، كما قيل : متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئاً ، ومتصوفة الجهمية يعبدون كل شيء . وذلك أن العبادة تتضمن الطلب والقصد والارادة والمحبة وهذا لا يتعاقب بمعدوم ، فان اقلب يطلب موجوداً فاذا لم يطلب ما فوق العالم طلب ما هو فيه

وأما الكلام والعلم والنظر فيتعلق بوجود ومعدوم ، فاذا كان أهل الكلام والنظر يصفون الرب بصفات الساب والنفي التي لا يوصف بها إلا المعدوم لم يكن مجرد العلم والكلام ينافي عدم المعدوم المذكور ، بخلاف القصد والارادة والعبادة فإنه ينافي عدم المعبود ، ولهذا تجد الواحد من هؤلاء عند نظره وبحته يميل إلى النفي ، وعند عبادته وتصوفه يميل إلى المول . وإذا قيل له هذا ينفي ذلك قال : هذا مقتضى عتلي ونظري ، وذلك مقتضى ذوقى ومرفني ، ومعلوم أن الذوق والوجدان لم يكن يوافق العقل والنظر وإلا لزم فسادهما أو فساد أحدهما

والقول الرابع : قول من يقول ان الله بذاته فوق العالم ، وهو بذاته في كل مكان ، وهذا قول طوائف من أهل الكلام والتصوف كابي معاذ وأمثاله ، وقد ذكر الأشعري في المقالات هذا عن طوائف ، ويوجد في كلام السالمية كابي طالب المكي وأتباعه كابي الحكم بن برجان وأمثله ما يشير إلى نحو من هذا كما يوجد في كلامهم ما يناقض هذا

وفي الجملة فالقول بالحلول أو ما يناسبه وقع فيه كثير من متأخري الصوفية ولهذا كان أئمة القوم يحذرون منه : فما في قول الجنيد - لما سئل عن التوحيد - فقال التوحيد أفراد الحدوث عن القدم ، فبين أن التوحيد أن يميز بين القديم والمحدث .

وقد أنكر ذلك عليه ابن عربي صاحب الفصوص وادعى أن الجنيد وأمثاله ماتوا  
وما عرفوا التوحيد لما أثبتوا الفرق بين العبد والرب، بناء على دعواه أن التوحيد  
ليس فيه فرق بين الرب والعبد، وزعم أنه لا يميز بين القديم والمحدث، إلا من ليس  
بقديم ولا محدث وهذا جهل، فإن المعرفة بان هذا ليس ذلك والتمييز بين هذا  
وذاك لا يفتقر إلى أن يكون العارف المميز بين الشئيين ليس هو أحد الشئيين، بل  
الإنسان يعلم أنه ليس هو ذلك الإنسان الآخر مع أنه أحدهما، فكيف لا يعلم أنه  
غير ربه وإن كان هو أحدهما؟

## الأصل الثاني أضلال المتصوفة

الاحتجاج بالقدر، والمكذبون به من المتكلمة

والأصل الثاني الاحتجاج بالقدر على المواصي وعلى ترك الأمور وفعل المحظور  
وإن القدر يجب الإيمان به ولا يجوز الاحتجاج به على مخالفة أمر الله ونهيه  
ووعده ووعيده

والناس الذين ضلوا في القدر على ثلاثة أصناف: قوم آمنوا بالأمر والنهي  
والوعد والوعيد وكذبوا بالقدر، وزعموا أن من الموائد ما لا يخاطبه الله كالمعتزلة  
ونحوهم، وقوم آمنوا بالقضاء والقدر ووافقوا أهل السنة والجماعة على أنه ما شاء  
الله كان وما لم يشاء لم يكن، وأنه خالق كل شيء وربهم ومايكه، لكن عارضوا  
هذا بالأمر والنهي وسموا هذا حقيقة وجعلوا ذلك معارضا للشريعة. وفيهم من  
يقول. إن مشاهدة القدر تنفي الملام والمعقاب وإن العارف يستوي عنده هذا وهذا.

وهم في ذلك متناقضون مخالفون للشرع والعقل والذوق والوجد. فانهم  
اليسوون بين من أحسن اليهم وبين من ظلمهم. ولا يسوون بين العالم والجاهل  
والقادر والفاجر. ولا بين الطيب والخبيث. ولا بين العادل والظالم، بل يفرقون

بينهما ، ويفرقون بموجب أهوائهم وأغراضهم لا بموجب الأمر والنهي ، ولا يقفون  
 لا مع القدر ولا مع الأمر ، كما قال بعض العلماء : أنت عند الطاعة قدي ، وعند  
 العصية جبري ، أي مذهب يوافق هواك تمذهبت به . ولا يوجد أحد يحتاج بالقدر  
 في ترك الواجب وفعل المحرم الا وهو متناقض لا يجعله حجة في مخالفة هواه ، بل  
 يعادي من آذاه وإن كان محقاً ، ويحب من وافقه على غرضه وإن كان عدواً لله ،  
 فيكون حبه وبغضه وموالاته ومعاداته بحسب هواه وذوق نفسه ووجدتها لا  
 بحسب أمر الله ونهيه ، ومحبته وبغضه ، وولايته وعداوته ، إذ لا يمكنه أن يجعل  
 القدر حجة لكل أحد . فان هذا مستلزم للفساد الذي لا صلاح معه ، والشر الذي  
 لا خير فيه . إذ لو جاز أن يحتاج كل أحد بالقدر لما عوقب معتد ، ولا اقتص من ظالم  
 باغ . ولا أخذ لمظلوم حقه من ظالمه ، وافعل كل أحد ما يشتهي ، من غير معارض  
 يعارضه فيه ، وهذا فيه من الفساد ما لا يعلمه إلا رب العالمين

فمن العلوم بالضرورة أن الأفعال تنقسم إلى ما ينفع العباد وإلى ما يضرهم والله  
 بعث رسوله يأمر المؤمنين بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم  
 عليهم الخبائث ، فمن لم يتبع شرع الله ودينه تبع ضده من الأهواء والبدع ، وكان  
 إحتجاجه بالقدر من الجدل بالباطل ليدحض به الحق لا من باب الاعتماد عليه  
 ولزمه أن يجعل كل من جرت عليه المقادير من أهل المعاذير  
 وإن قل : أنا أعذر بالقدر من شطه ، وعلم أن الله خالق فعله ومحركه ، لا من غاب  
 عن هذا الشهود ، أو كان من أهل الجحود . قيل له : فيقال لك وشهود هذا وجحود  
 هذا من القدر ؟ فالقدر متناول لشهود هذا وجحود هذا ؟ فإن كان هذا موجباً للفرق  
 مع شمول القدر لهما فقد جعلت بعض الناس محجوداً وبعضهم مذموماً مع شمول القدر  
 لهما ؟ وهذا رجوع إلى الفرق واعتصام بالأمر والنهي . وحينئذ فقد نقضت أصلاً  
 وتناقضت فيه ، وهذا لازم لكل من دخل معك فيه .

ثم مع فساد هذا الاصل وتناقضه فهو قول باطل وبدعة مضلة .  
 فمن جعل الايمان بالقدر وشهوده عذرا في ترك الواجبات وفعل المحظورات  
 [ كان الايمان بالقدر على قوله من اكبر المعاصي والسيئات وليس الامر كذلك ]  
 جل الايمان بالقدر حسنة من الحسنات وهذه لا تنهض بدفع جميع السيئات ،  
 فلو أنك مشرك بالله وكذب رسوله ناظراً الى أن ذلك مقدر عليه لم يكن  
 ذلك غافراً لتكذيبه ولا مانعاً من تعذيبه ، فان الله لا يغفر أن يشرك به ،  
 سواء كان المشرك مقراً بالقدر وناظراً اليه ، أو مكذباً به وغافلاً عنه ، فقد  
 قال ابليس ( فما اغويتني لزينن لهم في الارض ولا غوينهم اجمعين ) فصر  
 واحتج بالقدر وكان ذلك زيادة في كفره وسبباً لمزيد عذابه . وأما آدم عليه السلام  
 فانه قال ( ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ) قال  
 تعالى ( فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم ) فمن استغفر  
 وتاب كان آدمياً سعيداً ومن أصر واحتج بالقدر كان ابليسياً شقيماً . وقد قال  
 تعالى لابليس ( لاملئن جهنم منك وممن اتبعك منهم اجمعين )

وهذا الموضوع ضل فيه كثير من الخائضين في الحقائق ، فانهم يسلكون انواعاً  
 من الحقائق التي يبدونها ويدوقونها ويحتجون بالقدر فيما خالفوا فيه الامر ،  
 فبعضهم المشركين الذين كانوا يبتدعون ديناً لم يشرعه الله ويحتجون بالقدر  
 على مخالفة أمر الله .

(والصنف الثالث) من الضالين في القدر من خصم الرب في جمعه بين القضاء  
 والقدر والامر والنهي كما يدكرون ذلك على لسان ابليس ، وهؤلاء خصماء الله  
 وأعداؤه . وأما أهل الايمان فيؤمنون بالقضاء والقدر والامر والنهي ، ويفعلون  
 للمأمور، ويتركون المحذور، ويصبرون على المقدور، كما قال تعالى ( انه من يتق ويصبر  
 فان الله لا يضيع أجر المحسنين ) فالتقوى تتناول فعل المأمور وترك المحذور ،

والصبر يتضمن الصبر على المقدور . وهؤلاء إذا أصابتهم مصيبة في الأرض أو في أنفسهم علموا أن ذلك في كتاب، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، فسلموا الأمر لله وصبروا على ما ابتلاهم به . وأما إذا جاء أمر الله فأنهم يسارعون في الخيرات، ويسابقون إلى الطاعات، ويدعون ربهم رغبا ورهبا، ويجتنبون محارمه ويحفظون حدوده، ويستغفرون الله ويتوبون إليه من تقصيرهم فيما أمر وتعليمهم لحدوده . علما منهم بأن التوبة فرض على العباد دائما، واقتداء بنبيهم حيث يقول في الحديث الصحيح « أيها الناس توبوا إلى ربكم فوالذي نفسي بيده أني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة » وفي رواية « أكثر من سبعين مرة » وآخر سورة نزلت عليه ( إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسيح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا )

## الجواب عن الكلمات المسؤلة عنها

وإذا عرف هذان الاصلان فعاينهما ينبي جواب ما في هذا السؤال من الكلمات، ويعرف ما دخل في هذه الامور من الضلالات

### كلماتهم في الحق والخلق

فقول القائل : ان الله لطف ذاته فسامها حقا، وكثفها فسامها خلقا هو من اقوال أهل الوحدة والحلول والاتحاد، وهو باطل فان اللطيف ان كان هو الكثيف فالحق هو الخلق ولا تلطيف ولا تكثيف، وان كان اللطيف غير الكثيف فقد أثبت الفرق بين الحق والخلق، وهذا هو الحق، وحينئذ فالحق لا يكون خلقا، فلا يتصور ان ذات الحق تكون خلقا بوجه من الوجوه، كما ان ذات المخلوق لا تكون ذات الخالق بوجه من الوجوه

وكذلك قول الآخر « ظهر فيها حقيقة واحتجب عنها مجازا » فانه ان كان

الظاهر غير المظاهر فقد ثبت الفرق بين الرب والعبد ، وان لم يكن أحدهما غير الآخر فلا يتصور ظهور ولا احتجاب

ثم قوله « فمن كان من أهل الحق شهدا مظاهرو ومجالي ومن كان من أهل الفرق شهدا ستورا وحجبا » كلام ينقض بعضه بعضا ، فإنه ان كان الوجود واحدا لم يكن أحد الشاهدين غير الآخر ، ولم يكن الشاهد غير المشهود . ولهذا قال بعض شيوخ هؤلاء : من قال في الوجود سوى الله فقد كذب . فقال له آخر : فمن الذي كذب ؟ فافحمه وهذا لأنه اذا لم يكن موجود سوى الواجب بنفسه كان هو الذي يكذب ويظلم ويؤكل ويشرب ، وهذا يصرح به أئمة هؤلاء . (١) كما يقول صاحب الفصوص وغيره انه موصوف بجميع صفات الذم ، وأنه هو الذي يمرض ويضرب وتصيبه الآفات ويوصف بالنعائب والنقائص ، كما انه هو الذي يوصف بنعوت المدح والذم

قال : فالعالي بنفسه هو الذي يكون له جميع الصفات الثبوتية والسامية سواء كانت محمودة عقلا وشرعا وعرفا ، او مذمومة عقلا وشرعا وعرفا ، وليس ذلك الا لمسمى الله خاصة

وقال : ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات وأخبر بذلك عن نفسه ، وبصفات النقص وبصفات الذم ؟ ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الخالق وكأها حق له كما ان صفات المخلوق حق للخالق .

وقول القائل \* لقد حق لي عشق الوجود وأهله \* يقتضي انه يعشق ابليس وفرعون وهامان وكل كافر ، ويعشق الكلاب والخنازير والبول والعدرة وكل

(١) ويلزمون الشق من كل ما أورده على كلماتهم فيقولون الحق عين الخالق وإنما التاطيف والتكثيف تعليل للتسمية فالظاهر عين الباطن والشاهد عين المشهود . وسيأتي تصريحهم بهذا كما .



خبیث ، مع انه باطل عقلا وشرعا ، (١) فهو كاذب في ذلك متناقض فيه ، فانه لو آذاه مؤذ وآلمه آلمه شديداً لا بغضه وعاداه ، بل اعتدى في آذاه ، فعمشق الرجل لكل موجود محال عقلا ، محرم شرعا ، (٢)

وما ذكر عن بعضهم من قوله : عين ماترى ذات لا ترى ، وذات لا ترى عين ماترى . هو من كلام ابن سبعين ، وهو من أكابر أهل الشرك والاتحاد ، والسحر والاتحاد ، وكان من أفاضلهم وأذكيائهم وأخبرهم بالفلسفة وتصوف المتفلسفة وقول ابن عربي : ظاهره خلقه ، وباطنه حقه . هو قول أهل الحلول ، وهو متناقض في ذلك ، فانه يقول بالوحدة فلا يكون هناك موجودان أحدهما باطن والآخر ظاهر ، وتفريق بين الوجود والعين ، تفريق لاحقيقة له بل هو من أقوال أهل الكذب والمين

وقول ابن سبعين « ربُّ مالك ، وعبد هالك ، وأنتم ذلك ، الله فقط . والكثرة وهم » هو موافق لاصله الفاسد ، وان وجود المخلوق وجود الخالق ، ولهذا قال وأنتم ذلك . فانه جعل العبد هالكاً أي لا وجود له فلم يبق إلا وجود الرب ، فقال : وأنتم ذلك ، وكذلك قل : الله فقط ، والكثرة وهم . فانه على قوله لا موجود إلا الله . ولهذا كان يقول هو وأصحابه في ذكرهم : ليس إلا الله بدل قول المسلمين لا إله إلا الله

وكان الشيخ قطب الدين بن اقسطلاني يسميهم الاليسية ويقول : احذروا هؤلاء الاليسية ، ولهذا قال « والكثرة وهم » وهذا تناقض ، فن قوله « وهم » يقتضي متوهم ، فان كان المتوهم هو الوهم فيكون الله هو الوهم ، وان كان المتوهم هو غير

(١) أي وخسا وطبعا ، فمذهبهم خيالي ناقض لكل حقائق الادراك وأنواع العلم

(٢) أي وباطل وجدانا وطبعا ، أعني انه غير واقم ، فهو غير حق ، وإنما هو

خيال شعري محض

التوهم فقد تعدد الوجود ، وكذلك ان كان المتوهم هو الله فقد وصف الله بالتوهم الباطل ، وهذا مع انه كفر فهو يناقض قوله: الوجود واحد، وإن كان المتوهم غيره، فقد أثبت غير الله ، وهذا يناقض أصله ، ثم متى ما أثبت غيراً لزممت الكثرة فلا تكون الكثرة وهما ، بل تكون حقاً

والبيتان المذكوران عن ابن عربي مع تناقضهما مبنيان على هذا الأصل ، فإن قوله \* يا صورة إنس سرها معنائي \* خطاب على لسان الحق ، يقول لصورة الانسان ، يا صورة إنس سرها معنائي ، أي هي الصورة وأنا معناها ، وهذا يقتضي ان المعنى غير الصورة ، وهو يقتضي التعدد والتفريق بين المعنى والصورة ، فإن كان وجود المعنى هو وجود الصورة ، كما يصرح به ، فلا تعدد . وان كان وجود هذا غير وجود هذا ، فهو متناقض في قوله

وقوله \* ما خلقتك الامر ترى لولائي \* كلام مجمل يمكن أن يريد به معنى صحيح ، أي لولا الخالق لما وجد الكافرون ولا خالق لامر الله ، لكن قد عرف انه لا يقول بهذا وان مراده الوحدة والحلول والاتحاد ، ولهذا قال :

شئناك فأنشأناك خلقاً بشراً كي تشهدنا في أكمل الاشياء

فبين ان العبيد يشهدونه في أكمل الاشياء وهي الصورة الانسانية ، وهذا يشير الى الحلول ، وهو حلول الحق في الخلق ، لكنه متناقض في كلامه . فانه لا يرضى بالحلول ولا يثبت موجودين حل أحدهما في الآخر ، بل عنده وجود الحال هو عين وجود المحل . لكنه يقول بالحلول بين الثبوت والوجود ، فوجود الحق حل في ثبوت الممكنات ، وثبوتها حل في وجوده . وهذا الكلام لاحقيقه انه في نفس الامر ، فانه لا فرق بين هذا وهذا ، لكنه هو مذهب المتناقض في نفسه .

وأما الرجل الذي طلب من والده الحج فأمره أن يطوف بنفسه الاب وقال : طف بيت ما فارقه الله طرفة عين قط . فهذا كفر باجماع المسلمين ، فان الطواف بالبيت العتيق مما أمر الله به ورسوله ، وأما الطواف بالانبياء والصالحين فحرام باجماع المسلمين . ومن اعتقد ذلك ديناً فهو كافر سواء طاف بيده أو بقبره . وقوله « ما فارقه الله طرفة عين » إن أراد به الحلول المطلق العام فهو مع كلامه متناقض فانه لا فرق حينئذ بين الطائف والمطوف به ، فلم يكن طواف هذا بهذا أولى من العكس بل هذا مستلزم أن يطاف بالكلاب والخنازير والكفار ، والنجاسات والاقذار ، وكل خبيث وكل ملعون ، لان الحلول والاتحاد العام يتناول هذا كله وقد قال مرة شيخهم الشيرازي ، لشيخه التلمساني ، وقد مر بكلب أجرب ميت : هذا ايضاً من ذات الله ؟ فقال : وثم خارج عنه ؟ ومرة التلمساني ومعه شخص بكلب ، فركضه الآخر برجله ، فقال : لا تركضه فانه منه ، وهذا مع انه من أعظم الكفر والكذب الباطل في العقل والدين فانه متناقض ، فان الراكض والمركوض واحد وكنفلك الناهي والمنهي ، فليس شيء من ذلك بأولى بالامر والنهي من شيء ، ولا يمتد مع هذا تعدداً ، واذا قيل مظاهر ومجالي . قيل إن كان لها وجود غير وجود الظاهر والمتجلى ، فقد ثبت التعدد وبطت الوحدة ، وإن كان وجود هذا هو وجود هذا لم يبق بين الظاهر والمظهر والمتجلى فيه فرق .

وإن أراد بقوله : ما فارقه الله طرفة عين - الحلول الخاص - كما تقوله النصارى في المسيح ، لزم أن يكون هذا الحلول ثابتاً له من حين خاق كما تقوله النصارى في المسيح ، فلا يكون ذلك ، حاصله له بمعرفته وعبادته وتحقيقه وعرفانه . وحينئذ فلا يكون فرق بينه وبين غيره من الآدميين ، فلماذا يكون الحلول ثابتاً له دون غيره ؟ وهذا شر من قول النصارى ، فان النصارى ادعوا ذلك في المسيح لكونه خاق

من غير أب، وهؤلاء الشيوخ لم يفضلوا في نفس التخليق، وإنما فضلوا بالعبادة والمعرفة والتحقيق والتوحيد. وهذا أمر حصل لهم بعد أن لم يكن، فإذا كان هذا هو سبب الحلول وجب أن يكون الحلول فيهم حادثاً لا مقارناً لخلقهم، وحينئذ فقولهم إن الرب مفارق أبدانهم أو قلوبهم طرفة عين قط، - كلام باطل كيفما قدر

\*\*\*

وأما ما ذكر عن رابعة العدوية من قولها عن البيت: إنه الصنم المعبود في الأرض - فهو كذب على رابعة، ولو قل هذا من قاله لكان كافراً يستتاب فإن تاب وإلا قتل، وهو كذب، فإن البيت لا يعبده المسلمون ولكن يعبدون رب البيت بالطواف به والصلاة إليه، وكذلك ما نقل من قولها: والله ما ولج الله ولا خلا منه، كلام باطل عاياً. وعلى مذهب الحلولية لا فرق بين ذلك البيت وغيره في هذا المعنى فلا تميزية يطاف به ويصلى إليه ويحج دون غيره من البيوت؟

وقول القائل: ما ولج الله فيه - كلام صحيح،

وأما قوله ما خلا منه فإن أراد أن ذاته حالة فيه أو ما يشبه هذا المعنى، فهو باطل وهو مناقض لقواه ما ولج فيه، وإن أراد به أن الاتحاد ملازم له لم يتجدد له ولوج ولم يزل غير حال فيه، فهذا مع أنه كفر وباطل يوجب أن لا يكون للبيت مزية على غيره من البيوت إذ الوجودات كلها عندهم كذلك

\*\*\*

وأما البيتان المنسوبان الى الحلاج

سبعجان من أظهر ناسوته سر من لا هوته الثاقب

حتى بدا في خلقه ظاهراً في صورة الآكل والشارب

فهذه قد يعني بها الحلول الخاص كما تقول النصارى في المسيح، وكان أبو عبد الله

ابن خفيف الشيرازي قبل أن يطاع على حقيقة أمر الحلاج يذب عنه، فلما أنشد

هذين البيتين قال لعن الله من قال هذا. وقوله

عقد الخلاق في الآه عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه  
 فهذا البيت يعرف لابن عربي، فإن كان قد سبقه إليه الخلاج وقد تمثل هو به  
 فاضافته إلى الخلاج صحيحة، وهو كلام متناقض باطل، فإن الجمع بين النقيضين في الاعتقاد  
 في غاية الفساد. والتضيتان المتناقضتان بالسلب والایجاب على وجه يلزم من صدق  
 أحدهما كذب الأخرى لا يمكن الجمع بينهما، وهؤلاء يزعمون أنه يثبت عندهم  
 في المكشف ما يناقض صريح العقل وأنهم يقولون بالجمع بين النقيضين وبين  
 الضدين، وأن من سلك طريقهم يقول بمخالفة العقول والمنقول. ولا ريب أن  
 هذا من أفسد ما ذهب إليه أهل السفسطة

ومعلوم أن الأنبياء عليهم السلام أعظم من الأرياء، والأنبياء جاؤا بما تعجز  
 العقول عن معرفته ولم يجيئوا بما تعلم العقول بطلانه، فهم يخبرون بمحارات العقول،  
 لا بمحالات العقول، وهؤلاء الملاحدة يدعون أن محالات العقول صحيحة، وأن الجمع  
 بين النقيضين صحيح، وأن ما خالف صريح العقول وصحيح المنقول صحيح. ولا ريب  
 أنهم أصحاب خيال واهام يتخيلون في نفوسهم أموراً يتخيلونها ويتوهمونها فيظنونها  
 ثابتة في الخارج وانما هي من خيالاتهم. والخيال الباطل يتصور فيه ملاحقة له. ولهذا  
 يقولون: أرض الحقيقة هي أرض الخيال كما يقول ذلك ابن عربي وغيره ولهذا يحكون  
 حكاية ذكرها سعيد الفرغاني شارح قصيدة ابن الفارض - وكان من شيوخهم.

\*\*\*

وأما قوله

بيني وبينك إني تراحمي فارفع بحمك إني من بين

فان هذا الكلام يفسر بمعاني ثلاثة، يقوله الملحد، ويقوله الزنديق، ويقوله  
 الصديق. فالاول مراده به رفع ثبوت إنيته حتى يقال إن وجوده هو وجود الحق  
 وإنيته هي انية الحق، فلا يقال انه غير الله ولا سواه. وهذا قال سلف هؤلاء  
 الملاحدة إن الخلاج نصف رجل وذلك انه لم ترفع له الانية بالمعنى فرفعت له صورة:

يقولون إنه لما لم ترفع إنيته في اثبوت في حقيقة شهوده رفعت صورة . فتميل وهذا القول مع ما فيه من الكفر والاحاد فهو متناقض ينقض بعضه بعضا فان قوله \* بيني وبينك اني تراحمي \* خطاب لغيره . واثبات انية بينه وبين ربه وهذا اثبات امور ثلاثة ولذلك يقول \* فارفع بحقك انبي من البين \* طلب من غيره ان يرفع انيته ، وهذا اثبات لامور ثلاثة

وهذا المعنى الباطل هو الفناء الفاسد وهو الفناء عن وجود السوى، فان هذا فيه طلب رفع الانية وهو طلب الفناء ، والفناء ثلاثة اقسام فناء عن وجود السوى ، وفناء عن شهود السوى ، وفناء عن عبادة السوى فالاول هو فناء أهل الوحدة الملاحظة كما فسروا به كلام الخلاج وهو ان يجعل الوجود وجوداً واحداً

وأما الثاني وهو الفناء عن شهود السوى فهذا هو الذي يعرض لكثير من السالكين كما يحكى عن أبي يزيد وأمثاله وهو مقام الاصطلام، وهو أن يغيب بموجوده عن وجوده، وبمعبوده عن عبادته، وبمشهوده عن شهادته، وبمذكوره عن ذكره، فيفنى من لم يكن ، ويبقى من لم يزل ، وهذا كما يحكى أن رجلا كان يحب آخر فألقى المحبوب نفسه في الماء فألقى المحب نفسه خلفه فقال أنا وقعت فلم وقعت أنت ؟ فقال : غبت بك عني ، فظننت أنك أني . فهذا حال من عجز عن شهود شيء من المخلوقات اذا شهد قلبه وجود الخالق ، وهو أمر يعرض لطائفة من السالكين .

ومن الناس من يجعل هذا من السلوك، ومنهم من يجعله غاية السلوك، حتى يجعلوا الغاية هو الفناء في توحيد الربوبية ، فلا يفرقون بين الأمور والمحظور ، والمحجوب والمكروه . وهذا غلط عظيم غلطوا فيه بشهود القدر واحكام الربوبية عن شهود الشرع والامر والنهي وعبادة الله وحده وطاعة رسوله فمن طالب رفع انيته بهذا الاعتبار لم يكن محموداً على هذا واكن قد يكون معذوراً

وأما النوع الثالث وهو الفناء عن عبادة السوى فهذا حال النبيين وأتباعهم

وهو أن يقنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه، وبمحبته عن حب ما سواه، وبخشية من خشية ما سواه . وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه . فهذا تحقيق توحيد الله وحده لا شريك له وهو الخيفية ملة ابراهيم . ويدخل في هذا أن يقنى عن اتباع هواه بطاعة الله فلا يحب إلا الله ولا يبغض إلا الله ولا يعطي إلا الله ولا يمنع إلا الله . فهذا هو الفناء الديني الشرعي الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتبه

ومن قال \* فارفع بحمقك انبي من البين \* بمعنى أن يرفع هوى نفسه فلا يتبع هواه ولا يتوكل على نفسه وحوله وقوته، بل يكون عمله لله لا لهواه، وعمله بالله وبقوته لا بحوله وقوته، كما قال تعالى ( إياك نعبد وإياك نستعين ) فهذا حق محمود . وهذا كما يحكى عن أبي يزيد أنه قال : رأيت رب العزة في المنام فقلت : خداني (١) كيف الطريق اليك ؟ قال : اترك نفسك وتعال - أي اترك اتباع هواك والاعتماد على نفسك، فيكون عمالك لله واستعانتك بالله كما قال تعالى ( فاعبده وتوكل عليه )

\* \* \*

والقول المحكي عن ابن عربي \* وبى حلفت وان المقسم الله \* هو أيضا من إلحادهم وإفكهم : جعل نفسه حالفة بنفسه وجعل الخالف هو الله فهو الخالف والمخولف به كما يقولون : أرسل من نفسه إلى نفسه رسولا بنفسه فهو المرسل والمرسل اليه والرسول . وكما قال ابن الفارض في قصيدته نظم السلوك

لها صلواتي بالمقام أقيمها      وأشهد فيها أنها لي صلت  
كلانا متصل واحد ساجد إلى      حقيقته بالجمع في كل سجدة  
وما كان بي صلى سواي ولم تكن      صلاتي لغيري في أدا كل ركعة  
إلى أن قل .

وما زات إياها وإياي لم تنزل      ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحببت

(١) خدا بضم الخاء اسم الله بالفارسية ، واضافه الى ياء المتكلم . اي يا الهى

137170

وقد رفعت تاء المخاطب بيننا وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي  
فان دعيت كنت المحيب وان اكن منادى اجابت من دعائي ولبت  
الي رسولا كنت مني مرسلا وذاتي باآياتي علي استمدات

\*  
\* \*

وأما المنقول عن عيسى بن مريم صلوات الله عليه فهو كذب عليه وهو  
كلام ملحد كاذب وضعه على المسيح وهذا لم ينقله عنه مسلم ولا نصراني ،  
فانه لا يوافق قول النصارى ، فان قوله : ان الله اشتاق أن يرى ذاته المقدسة فخلق من  
نوره آدم وجعله كالمرآة ينظر الى ذاته المقدسة فيها وانى أنا ذلك النور و آدم  
المرآة . فهذا الكلام مع ما فيه من الكفر والاحاد متناقض وذلك أن الله سبحانه  
يرى نفسه كما يسمع كلام نفسه ، وهذا رسول الله ﷺ وهو عبد مخلوق لله قال  
لأصحابه « إني أراكم من وراء ظهري كما أراكم من بين يدي » فاذا كان المخلوق قد  
يرى ما خلفه وهو أبلغ من رؤية نفسه فالخالق تعالى كيف لا يرى نفسه ؟ وأيضا  
فان شوقه الى رؤية نفسه حتى خلق آدم يقتضي أنه لم يكن في الازل يرى نفسه  
حتى خلق آدم ،

ثم ذلك الشوق ان كان قديما كان ينبغي أن يفعل ذلك الازل وان كان محدثا  
فلا بد من سبب يقتضي حدوثه ، مع أنه قديقال الشوق أيضا صفة نقص وهذا  
لم يثبت ذلك في حق الله تعالى وقدروي « طال شوق الابرار الى لقائي وانا الى  
لقائهم أشوق » وهو حديث ضعيف

وقوله : فخلق من نوره آدم وجعله كالمرآة وأنا ذلك النور و آدم هو المرآة -  
يقتضي أن يكون آدم مخلوقا من المسيح وهذا نقيض الواقع ، فان آدم خلق قبل  
المسيح ، والمسيح خلق من مريم ومريم من ذرية آدم ، فكيف يكون آدم مخلوقا من  
ذريته ؟ وان قيل المسيح هو نور الله فهذا القول وان كان من جنس قول النصارى



فهو شر من قول النصارى ، فان النصارى يقولون : ان المسيح هو الناسوت واللاهوت الذي هو الكلمة هي جوهر الابن ، وهم يقولون : الاتحاد اتحاد اللاهوت والناسوت متجدد حين خلق بدن المسيح لا يقولون ان آدم خلق من المسيح اذ المسيح عندهم اسم اللاهوت والناسوت جميعا وذلك يمتنع ان يخلق منه آدم وايضا فهم لا يقولون ان آدم خلق من لاهوت المسيح (١)

وايضا فقول القائل : ان آدم خلق من نور الله الذي هو المسيح ان اراد به نوره الذي هو صفة لله فذلك ليس هو المسيح الذي هو قائم بنفسه اذ يمتنع ان يكون القائم بنفسه صفة لغيره ، وان اراد بنوره ما هو نور منفصل عنه فعلوم ان المسيح لم يكن شيئا موجودا منفصلا قبل خلق آدم ، فامتنع على كل تقدير ان يكون آدم مخلوقا من نور الله الذي هو المسيح ،

وايضا فاذا كان آدم كالمرآة وهو ينظر الى ذاته المقدسة فيها لزم ان يكون الظاهر في آدم هو مثال ذاته لان آدم هو ذاته ولا مثل ذاته ولا كذاته ، وحينئذ فان كان المراد بذلك ان آدم يعرف الله تعالى فيري مثال ذاته العلمي في آدم فالرب تعالى يعرف نفسه فكان المثال العلمي اذا امكن رؤيته كانت رؤيته للعلم المطابق له القائم بذاته اولى من رؤيته للعلم القائم بآدم ، وان كان المراد ان آدم نفسه مثال لله فلا يكون آدم هو المرآة بل يكون هو كالمثال الذي في المرآة ، وايضا فتخصيص المسيح بكونه ذلك النور هو قول النصارى الذين يخصوصونه بانه الله او ابن الله ، وهؤلاء الاتحادية ضموا الى قول النصارى قولهم بعموم الاتحاد حيث جعلوا في غير المسيح من جنس ما تقوله النصارى في المسيح

\*\*\*

وأما قول ابن الفارض :

وشاهد اذا استجليت ذاتك من ترى بغير مرآة في المرآة الصقيلة

(١) في نسخة ( وايضا انهم يقولون ان آدم لاهوت المسيح )

أغيرك فيها لاح أم أنت ناظر اليك بها عند انعكاس الاشعة؟  
فهذا تمثيل فاسد، وذلك أن الناظر في المرآة يرى مثال نفسه فيرى نفسه  
بواسطة المرآة لا يرى نفسه بلا واسطة، فقولهم بوحدة الوجود باطل وبتقدير  
صحته ليس هذا مطابقا له

وأیضا فهؤلاء يقولون بعموم الوحدة والاتحاد والحلول في كل شيء فتخصيصهم  
بعد هذا آدم أو المسيح يناقض قولهم بالعموم وإنما يخص المسيح ونحوه من يقول بالاتحاد  
الخاص كالنصارى والغالية من الشيعة وجهال النساك ونحوهم  
وأیضا فلو قدر أن الانسان يرى نفسه في المرآة فالمرآة خارجة عن نفسه فيرى  
نفسه أو مثال نفسه في غيره، والكون عندهم ليس في غير ولا سوى، فليس هناك  
مظهر مغاير للظاهر ولا مرآة مغايرة للرائي

وهم يقولون: إن الكون مظاهر الحق، فإن قولوا: المظهر غير الظاهر لزم  
التعدد وبطلت الوحدة، وإن قولوا المظهر هي الظاهر لم يكن قد ظهر شيء في  
شيء ولا تجلي شيء في شيء ولا ظهر شيء لشيء ولا تجلي شيء لشيء، وكان  
قوله: \* وشاهد إذا استجليت نفسك من ترى \* ... كلاما متناقضا لان هنا  
مخاطبا ومخاطبا ومرآة تستجلي فيها الذات، فهذه ثلاثة أعيان، فإن كان الوجود  
واحداً بالعين بطل هذا الكلام، وكل كلمة يقولونها تنقض صوابهم

## فصل

وأما ما ذكره من قول ابن اسرئيل: الامر أمران، أمر بواسطة، وأمر غير  
واسطة، إلى آخره - فمضمونه أن الامر الذي بواسطة هو الامر الشرعي الديني،  
والذي بلا واسطة هو الامر القدري الكوني. وجملة أحد الامرين بواسطة والآخر  
بغير واسطة كلام باطل، فإن الامر الديني يكون بواسطة وبغير واسطة فإن الله

كلم موسى وأمره بلا واسطة وكذلك كما محمداً ﷺ وأمره ليلة المعراج، وكذلك  
كلم آدم وأمره بلا واسطة وهي أوامر دينيه شرعية  
وأما الأمر الكونى فقول القائل انه بلا واسطة خطأ، بل الله تعالى خلق  
الاشياء بعضها ببعض، وأمر التكوين ليس هو خطاباً يسمعه المكون المخلوق فان هذا  
ممتنع، ولهذا قيل ان كان هذا خطاباً له بعد وجوده لم يكن قد كون بكن بل كان  
قد تكون قبل الخطاب، وان كان خطاباً له قبل وجوده فخطاب المعدوم ممتنع. وقد  
قيل في جواب هذا انه خطاب لمعلوم لحضوره في العلم وان كان معدوماً في العين (١)  
وأما ما ذكره الفقير فهو سؤال وارد بالارباب.

\*

\* \*

وأما ما ذكره عن شيخه من أن آدم كان توحيداً ظاهراً وباطناً فكان قوله  
« لا تقرب » ظاهراً وكان أمره « بكل » باطناً ( فيقول ) ان أريد بكونه قال  
« كل » باطناً أنه أمره بذلك الباطن أمر تشريع ودين فهذا كذب وكفر. وان  
كان أراد أنه خلق ذلك وقدره وكونه فهذا قدر مشترك بين آدم وبين سائر المخلوقات  
فانما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. وان قيل: ان آدم شهد الأمر الكونى  
القدرى وكان مطيعاً بامثاله له. كما يقول هؤلاء: ان العارف الشاهد للقدر لا يسقط عنه  
الملام. فهذا مع انه معلوم بطلانه بالضرورة من دين الاسلام فهو كفر باتفاق المسلمين.  
فيقال: الأمر الكونى يكون موجوداً قبل وجود المكون، لا يسمعه العبد وليس  
امثاله مقدوراً له، بل الرب يخلق ما كونه بمشيئته وقدرته، والله تعالى ليس

(١) لا يقال ان المعدوم المعلوم لا يسمع الخطاب أيضاً لان هذا الخطاب  
( كن ) تكوئى لا تكليفى فهو عبارة عن ارادة الخالق وقدرته بكونه ووجوده  
وعبر عن أثر هذا التعلق بقوله ( فيكون ) والجملة تمثل الامرين بمن يأمر بشيء  
فينفذ أمره عقبه بغير مهلة كما سيأتى

له شريك في اخلق وانه تكوين . والعبد وإن كان بمشيئته وقدرته والله خالق كل ذلك ، فتكوين الله للعبد ليس هو أمراً لعبد موجود في الخارج يمكنه الامتثال ، وكذلك ما خلقه من أحواله وأعماله خلقه بمشيئته وقدرته و ( انما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ) فكل ما كان من المكونات فهو داخل في هذا الامر . وأكل آدم من الشجرة ، وغير ذلك من الحوادث داخل تحت هذا كدخول آدم فنفس أكل آدم هو الداخل تحت هذا الامر كما دخل آدم . فقول القائل : انه قال لا آدم في الباطن «كل» مثل قوله انه قال للكافر الكفر ولفسق افسق ، والله لا يأمر بالفحشاء ، ولا يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يوجد منه خطاب باطن ولا ظاهر للكفار والفساق والمعصاة بفعل الكفر والفسوق والعصيان ، وإن كان ذلك واقعاً بمشيئته وقدرته وخلقته وأمره الكوني ، فالامر الكوني ليس هو أمراً للعبد أن يفعل ذلك الامر بل هو أمر تكوين لذلك الفعل في العبد ، أو أمر تكوين يكون العبد على ذلك الحال (١)

فهو سبحانه الذي خلق الانسان هلو عا (اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً) وهو الذي جعل المسلمين مسلمين كما قال الخليل ( ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ) فهو سبحانه جعل العباد على الاحوال التي خالقهم ايها وأمرهم بذلك أمر تكوين بمعنى أنه قال لهم : كونوا كذلك فيكونون كذلك كما لو قال الجهاد كن فيكون (١) فأمر التكوين لا فرق فيه بين الجماد والحيوان ، وهو لا يفتقر الى علم الامور ولا ارادته ولا قدرته ، لكن العبد قد يعلم ما جرى به القدر في أحواله كما يعلم ما جرى به القدر في أحوال غيره ، وليس في ذلك علم منه بأن الله أمره في الباطن بخلاف ما أمره به في الظاهر ، بل أمره بالطاعة باطنا وظاهراً ، ونهاه عن المعصية باطنا وظاهراً ، وقد ما يكون فيه من طاعة ومعصية باطنا وظاهراً ، وخاق العبد وجميع أعماله باطنا

(١) بينا آنفاً انه تمثيل للخلق والتكوين ، مبين لامر التكليف

وظاهراً ، وكون ذلك بقوله « كن » باطنا وظاهراً

وليس في القدر حجة لابن آدم ولا عذر ، بل القدر يؤمن به ولا يحتج به ،  
والاحتجاج بالقدر فاسد العقل والدين متناقض ، فان القدر ان كان حجة وعذراً لزم  
أن لا يلام أحد ولا يعاقب ولا يقتض منه ، وحينئذ فهذا الاحتجاج بالقدر يلزمه اذا  
ظلم في نفسه وماله وعرضه وحرمة أن لا ينتصر من الظالم ولا يغضب عليه ولا  
يذمه . وهذا أمر ممتنع في الطبيعة لا يمكن أحد أن يفعله فهو ممتنع طبعاً محرم شرعاً  
ولو كان القدر حجة وعذراً لم يكن ابليس ملوماً ولا معاقباً ولا فرعون وقوم  
نوح وعاد وثمود وغيرهم من الكفار ولا كان جهاد الكفار جائزاً ولا اقامة  
الحدود جائزاً ، ولا قطع السارق ولا جلد الزاني ولا رجحه ولا قتل القاتل ولا عقوبة  
معتد بوجه من الوجوه ،

ولما كان الاحتجاج بالقدر باطلاً في فطر الخلق وعقولهم لم تذهب اليه أمة من  
الأمم ، ولا هو مذهب أحد من العقلاء الذين يطردون قولهم فانه لا يستقيم عليه  
مصلحة أحد ، لا في دنياه ولا آخرته ، ولا يمكن اثنان أن يتعاشرا ساعة واحدة ان  
لم يكن أحدهما ملزماً مع الآخر نوعاً من الشرع ، والشرع نور الله في أرضه ،  
وعدله بين عباده ، لكن الشرائع تتنوع فتارة تكون منزلة من عند الله كما جاءت  
بـ الرسل وتارة لا تكون كذلك ، ثم المنزلة تارة تبدل وتغير كما غير أهل الكتاب  
شرائعهم ، وتارة لا تغير ولا تبدل ، وتارة يدخل النسخ في بعضها وتارة لا يدخل  
وأما القدر فانه لا يحتج به أحد إلا عند اتباع هواه ، فاذا فعل فملا محرماً بمجرد هواه  
وذوقه ووجده من غير أن يكون له علم بحسن الفعل ومصلحته استند الى القدر  
كما قال المشركون (لو شاء الله ما أشر كنا ولا آباؤنا ولا جرمننا من شيء) قال الله تعالى  
( كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا . قل هل عندكم من علم فتخرجوه  
لنا ؟ إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون \* قل فلاة الحججة البالغة فلو شاء

لهداكم أجمعين) فبين أنهم ليس عندهم علم بما كانوا عليه من الدين وإنما يتبعون الظن. والقوم (١) لم يكونوا ممن يسوغ لكل أحد الاحتجاج بالقدر، فإنه لو خرب أحد الكعبة أو شتم إبراهيم الخليل أو دهن في دينهم لعدوا واذود، كيف وقد عادوا النبي ﷺ على ما جاء به من الدين. وما فعله هو أيضاً من المقدور. فلو كان الاحتجاج بالقدر حجة لكان للنبي ﷺ وأصحابه. فإن كان كل ما يحدث في الوجود فهو مقدر، فلحنى والمبطل يشتركان في الاحتجاج بالقدر إن كان الاحتجاج به صحيحاً، وإكن كانوا يعتمدون على ما يعتقدونه من جنس دينهم وهم في ذلك يتبعون الظن ليس لهم به علم بل هم بخرصون

وموسى لما قال لآدم «لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟» فقال آدم عليه السلام فيما قال لموسى: لم تلومني على أمر قدره الله على قبل أن أخلق بأربعين عاماً؟ فخرج آدم موسى «لم يكن آدم عليه السلام محتجاً على فعل ما نهى عنه بالقدر، ولا كان موسى ممن يحتج عليه بذلك فيقبله، بل أحد المؤمنين لا يفعلون مثل هذا، فكيف آدم وموسى؟ وآدم قد تاب ما فعل واجتبه ربه وهدى، وموسى علم بالله من أن يلوم من هو دون نبي على فعل تاب منه، فكيف بنبي من الأنبياء؟ وآدم يعلم أنه لو كان القدر حجة لم يحتج إلى التوبة ولم يجر ماجرى من خروجه من الجنة وغير ذلك، ولو كان القدر حجة لكان لا يلبس وغيره، وكذلك موسى يعلم أنه لو كان القدر حجة لم يعاقب فرعون بالغرق ولا بنو إسرائيل بالصعقة وغيرها، كيف وقد قل موسى (رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي) وقل (فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين) وهذا باب واسع

وإنما كان لوم موسى لآدم من أجل المصيبة التي لحقتهم بآدم من أكل الشجرة. ولهذا قال: لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ واللوم لأجل المصيبة التي لحقت

(١) أي الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا الخ

الانسان نوع، واللوم لاجل الذنب الذي هو حق الله نوع آخر، فان الاب لو فعل فعلا افتقر به ختي تضرر بنوه فأخذوا يلومونه لاجل ما لحقهم من الفقر لم يكن هذا كلومه لاجل كونه أذنب. والعبد مأمور أن يصبر على المقذور، ويطيع المأمور، واذا أذنب استغفر. كما قال تعالى ( فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك ) وقال تعالى ( ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ) قال طائفة من السلف: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم (١) فمن احتج بالقدر على ترك المأمور، وجزع من حصول ما يكرهه من المقذور فقد عكس الايمان والدين، وصار من حزب الملحدن المنافقين، وهذا حال المحتجين بالقدر فان أحدهم اذا أصابته مصيبة عظم جزعه وقل صبره، فلا ينظر الى القدر ولا يسلم له، واذا أذنب ذنبا أخذ يحتج بالقدر، فلا يفعل المأمور، ولا يترك المحذور، ولا يصبر على المقذور، ويدعي مع هذا انه من كبار أولياء الله المتقين، وأئمة المحققين الموحدين، وانما هو من أعداء الله الملحدن، وحزب الشيطان اللعين. وهذا الطريق انما يسلكه أبعد الناس عن الخير والدين والايمان، تجرد أحدهم أجبر الناس اذا قدر، وأعظمهم ظلما وعدوانا، وأذل الناس اذا قهر، وأعظمهم جزعا ووهنا. كما جرب به الناس من الاحزاب البعيدين عن الايمان بالكتاب. من اصناف الناس. والمؤمن ان قدر عدل وأحسن، وان قهر وغلب صبر واحتسب، كما قال كعب بن زهير في قصيدته التي أنشدها للنبي ﷺ، التي أولها بانت سعاد الخ - في صفة المؤمنين :

(١) أي يرضى من الله فلا يعترض ولا يسخط، ولا يلزم من رضاه بالقدر ان يرضى بالمقذور ولا يقاومه بل يجب عليه مقاومة المرض بالتداوى وتخريب الصواعق أو الظالمين بالتمير ومقاومة المعتدين بازالة عدوانهم ولو بالقتال. خلافا لما يقوله جهلة المتصوفة

ليسوا مفارح إن نالت رماحهم يوم ما ويسوا مجازيعا اذا نيلوا  
وسئل بعض العرب عن شيء من أمر النبي ﷺ فقال: رأيتُه يَغلب فلا  
يُطر، ويَغلب فلا يضجر، وقد قال تعالى (قلوا أأنك لانت يوسف؟ قال أنا يوسف  
وهذا أخي قد من الله علينا، انه من بتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) وقال  
تعالى (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) وقال تعالى (بلى إن تصبروا  
وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخسمة آلاف من الملائكة مسومين)  
وقال تعالى (وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) فذكر الصبر  
والتقوي في هذه المواضع الأربعة فالصبر يدخل فيه الصبر على المقدور، والتقوي  
يدخل فيها فعل المأمور وترك المحذور. فمن رزق هذا وهذا فقد جمع له الخير، بخلاف  
من عكس فلا يتقي الله بل يترك طاعته متبعا لهواه ويحتج بالقدر، ولا يصبر اذا ابتلي  
ولا ينظر حينئذ الى القدر، فان هذا حال الأشقياء كما قال بعض العلماء: أنت  
عند الطاعة قدرى، وعند المعصية جبري، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به.  
يقول أنت اذا أطعت جعلت نفسك خالقا لطاعتك فتدسى نعمة الله عليك أن  
جعلك مطيعا له، واذا عصيت لم تعترف بانك فعلت الذنب بل تجعل نفسك بمنزلة المجبور  
عليه بخلاف مراده أو المحرك الذي لا ارادة له ولا قدرة ولا علم، وكلاهما خطأ  
وقد ذكر أبو طالب المكي عن سهل بن عبد الله التستري أنه قال: اذا  
عمل العبد حسنة فقال: أي ربي أنا فعلت هذه الحسنة، قال له ربه أنا يسر لك  
لها وأنا أعنتك عليها. فان قل أي ربي أنت أعنتي عليها ويسرني لها، قال له  
ربه: أنت عملتها وأجرها لك. واذا فعل سيئة فقال أي ربي أنت قدرت علي  
هذه السيئة. قال له ربه: أنت اكتسبتها وعليك وزرها، فان قل أي ربي اني أذنبت  
هذا الذنب وأنا أتوب منه، قال له ربه. أنا قدرته عليك وأنا أغفره لك. وهذا  
باب مبسوط في غير هذا الموضع

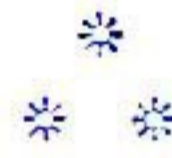


وقد كثر في كثير من المنتسبين الى المشيخة والتصوف شهود القدر فقط من غير شهود الامر والنهي والاستناد اليه في ترك المأمور وفعل المحذور، وهذا أعظم الضلال. ومن طرد هذا القول والتزم لوازمه كان كافر من اليهود والنصارى والمشركين لكن أكثر من يدخل في ذلك يتناقض ولا يطرد قوله

وقول هذا القائل هو من هذا الباب فقوله : آدم كان أمره بكل باطنا فأكل ، وابلوس كان توحيداً ظاهراً فأمر بالسجود لآدم فآدم غيراً فلم يسجد فغضب الله عليه وقال ( اخرج منها ) الآية - فان هذا مع ما فيه من الالحاد كذب على آدم وابلوس ، فأدم اعترف بأنه هو الفاعل للخطيئة وأنه هو الظالم لنفسه وتاب من ذلك ولم يقل ان الله ظلمي ، ولا ان الله أمرني في الباطن بالاكل ، قل تعالى ( فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم ) وقال تعالى ( قال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ) وابلوس أصر واحتج بالقدر فقال ( ربي بما أغويتني لازين لهم في الارض ولا غوينهم أجمعين )

وأما قوله رآه غيراً فلم يسجد - فهذا شر من الاحتجاج بالقدر، فان هذا قول أهل الوحدة الملحدون وهو كذب على ابلوس فان ابلوس لم يمتنع من السجود لكونه غيراً بل قال ( أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ) ولم تؤمر الملائكة بالسجود لكون آدم ليس غيراً ، بل المغابرة بين الملائكة وادم ثابتة معروفة والله تعالى ( علم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم سادقين \* قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ) وكانت الملائكة وادم معترفين بأن الله مبين لهم وهم مغايرون له ، ولهذا دعوه دعاء العبد ربه ، فأدم يقول ( ربنا ظلمنا أنفسنا ) والملائكة تقول ( لا علم لنا الا ما علمتنا ) وتقول ( ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ) الآية وقد قال تعالى

( أفغير الله تأمروني أعبد أباها الجاهلون ) وقال تعالى ( أفغير الله أنخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم ) وقال ( أفغير الله أتبعي حكماً وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً ) فلو لم يكن هناك غير لم يكن المشركون أمره بعبادة غير الله ، ولا اتخذوا غير الله ولياً ولا حكماً ، فلم يكونوا يستحقون الإنكار ، فلما أنكر عليهم ذلك دل على ثبوت غير يمكن عبادته واتخاذها ولياً وحكماً ، وانه من فعل ذلك فهو مشرك بالله كما قال تعالى ( ولا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين ) وقال ( لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتتعد مذموماً مخذولاً ) وأمثال ذلك



وأما قول القائل: ان قوله ( ليس لك من الامر شيء ) عين الاثبات للنبي صلى الله عليه وسلم كقولهم ( وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ) ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ) فهذا بناء على قول أهل الوحدة والاتحاد ، جعل معنى قوله ( ليس لك من الامر شيء ) أن فعلك هو فعل الله لعدم الغيرة ، هذا ضلال عظيم من وجوه

( أحدها ) ان قوله ( ليس لك من الامر شيء ) نزل في سياق قوله ( ليتطاع لرفا من الذين كفروا أو يكتبهم فينقلبوا خائبين \* ليس لك من الامر شيء ويتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ) وقد ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو على قوم من الكفار أو يلعنهم في القنوت ، فلما أنزل الله هذه الآية رك ذلك ، فعلم ان معناها إفراد الرب تعالى بالامر وانه ليس بغيره أمر بل ان شاء الله تعالى قطع طرفاً من الكفار ، وإن شاء كتبهم فانقلبوا بالخسارة ، وإن شاء كتب عليهم ، وإن شاء عذبهم . وهذا كما قال في الآية الأخرى ( قل لا أملك لنفسي نفعا

ولا ضرا إلا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني  
السوء) ونحو ذلك قوله تعالى ( يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا )  
( قل ان الامر كله لله )

(الوجه الثاني) ان قوله ( وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ) لم يرد به ان  
فعل العبد هو فعل الله تعالى كما تظانه طائفة من العالمين ، فان ذلك لو كان صحيحاً  
لكان ينبغي أن يقال لكل أحد، حتى يقال للماشي : ما مشيت اذ مشيت ولكن الله  
مشى . ويقال لراكب : ما ركبت اذ ركبت ولكن الله ركب . ويقال للمتكلم :  
ما تكلمت اذ تكلمت ولكن الله تكلم؛ ويقال مثل ذلك للآكل والشارب والصائم  
والمصلي ونحو ذلك . وطرده ذلك يستلزم أن يقال للكافر ما كفرت اذ كفرت  
ولكن الله كفر . ويقال للكاذب ما كذبت اذ كذبت ولكن الله كذب .  
ومن قال مثل هذا فهو ملحد خارج عن العقل والدين . ولكن معنى الآية ان  
النبي ﷺ يوم بدر رماهم ولم يكن في قدرته أن يوصل الرمي الى جميعهم فانه  
اذ رماهم بالتراب وقال « شأهت الوجوه » لم يكن في قدرته أن يوصل ذلك  
اليهم كلهم ، فالله تعالى اوصل ذلك الرمي اليهم كلهم بقدرته . يقول وما اوصلت  
اذ حذف ولكن الله اوصل ، فالرمي الذي اثبت له ليس هو الرمي الذي نفاه عنه  
فان هذا مستلزم للجمع بين النقيضين بل نفى عنه الايصال والتبليغ، واثبت له الحذف  
والالقاء ، وكذلك اذا رمى سهما فأوصله الله الى العدو ايصالاً خارقاً للعادة كان  
الله هو الذي اوصلها بقدرته

(الوجه الثالث) انه لو فرض ان المراد بهذه الآية أن الله خالق افعال العباد  
فهذا المعنى حق وقد قال الخليل (ربنا واجعلنا مسلمين لك) فالله هو الذي جعل المسلم مسلماً  
وقال تعالى ( ان الانسان خلق هلوعاً \* اذا مسه الشر جزوعاً \* واذا مسه  
الخير منوعاً ) فالله هو الذي خلقه هلوعاً ، لكن ليس في هذا ان الله هو العبد . ولأن

وجود الخالق هو وجود المخلوق ، ولا أن الله حال في العبد ، فالقول بأن الله خالق أفعال العباد حق ، والقول بأن الخالق حال في المخلوق أو وجوده وجود المخلوق باطل وهؤلاء ينتقلون من القول بتوحيد الربوبية إلى القول بالحلل والائحاد ، وهذا عين الضلال والالحاد

﴿ الوجه الرابع ﴾ أن قوله تعالى ( إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ) لم يرد به أنك أنت الله ، وإنما أراد أنك أنت رسول الله ومبلغ أمره ونهيه ، فمن بايعك فقد بايع الله ، كما أن من أطاعك فقد أطاع الله . ولم يرد بذلك أن الرسول هو الله ولكن الرسول أمر بما أمر الله به ، فمن أطاعه فقد أطاع الله ، كما قال النبي ﷺ « من أطعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن عصى أميري فقد عصاني » ومعلوم أن أميره ليس هو إياه

ومن ظن في قوله ( إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ) أن المراد به أن فعلك هو فعل الله ، أو المراد أن الله حال فيك ونحو ذلك ، فهو مع جهله وضلاله بل كفره والحاده ، قد ساء لرسول خاصيته وجعله مثل غيره ، وذلك أنه لو كان المراد به كون الله فاعلاً لفعلك لكان هذا قدرًا مشتركًا بينه وبين سائر الخلق ، وكان من بايع أبا جهل فقد بايع الله ومن بايع مسيلة فقد بايع الله ومن بايع قادة الأحزاب فقد بايع الله ، وعلى هذا التقدير فالمبايع هو الله أيضًا ، فيكون الله قد بايع الله ، إذ الله خالق لهذا ولهذا ، وكذلك إذا قيل بمذهب أهل الحلل والوحدانية والائحاد فإنه عام عندهم في هذا وهذا فيكون الله قد بايع الله .

وهذا يقوله كثير من شيوخ هؤلاء الحلوانية الأتحادية ، حتى إن أحدهم إذا أمر بقتال العدو يقول أقاتل الله ثم ما أقدر أن أقاتل الله ، ونحو هذا الكلام الذي سمعناه من شيوخهم وبيننا فسادهم وضلالهم فيه غير مرة وأما الحلل الخاص فليس هو قول هؤلاء بل هو قول النصاري ومن وافقهم

من الغالية (١) وهو باطل أيضا ، فإن الله سبحانه قال له ( ليس لك من الامر شيء ) وقال ( وأنه لما قام عبد الله يدعوه ) وقال ( سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا ) وقال ( وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ) وقال ( لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا \* ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما )

فتأوله ( لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ) بين قوله ( إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ) ولهذا قل ( يد الله فوق أيديهم ) ومعلوم ان يد النبي ﷺ كانت مع أيديهم ، كانوا يصافحونه ويصفقون على يده في البيعة ، فلم ان يد الله فوق أيديهم ليست هي يد النبي ﷺ واكن الرسول عبد الله ورسوله فبايعهم عن الله وعاهدهم وعاقدهم عن الله ، فالذين بايعوه بايعوا الله الذي أرسله وأمره ببيعتهم ، الا ترى أن كل من وكل شخصا بعقد مع الوكيل كان ذلك عقداً مع الموكل ، ومن وكل نائبا له في معاهدة قوم فعاهدهم عن مستنبيه كانوا معاهدين لمستنبيه ، ومن وكل رجلا في نكاح أو تزويج كان الموكل هو الزوج الذي وقع له العقد ؟ وقد قال تعالى ( ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ) الآية ، ولهذا قال في تمام الآية ( ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما )

فتبين أن قول ذلك الفقير هو القول الصحيح وان الله إذا كان قد قال نبيه ( ليس لك من الامر شيء ) فإيش نكون نحن ؟ وقد ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله »

\*  
\* \*

(١) أي غالية الرافضة وهم الباطنية

وأما قول القائل:

ما غبت عن القلب ولا عن عيني ما بينكم وبيننا من بين  
فهذا القول مبني على قول هؤلاء وهو باطل متناقض فإن مبناه على أنه يرى  
الله بعينه ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال « واعلموا أن أحداً  
منكم لن يرى ربه حتى يموت » وقد اتفق أئمة المسلمين على أن أحداً من المؤمنين  
لا يرى الله بعينه في الدنيا ، ولم يتنازعوا إلا في النبي ﷺ مع أن جماهير الأئمة على  
أنه لم يره بعينه في الدنيا ، وعلى هذا دلت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ  
والصحابه وأئمة المسلمين .

ولم يثبت عن ابن عباس ولا عن الإمام أحمد وأمثالهما أنهم قالوا إن محمد رأى  
ربه بعينه بل الثابت عنهم إما إطلاق الرؤية وإما تقييدها بالفؤاد وليس في شيء من  
أحاديث المعراج الثابتة أنه رآه بعينه ، وقوله « تاني البارحة ربي في أحسن صورة »  
الحديث الذي رواه الترمذي وغيره إنما كان بالمدينة في المنام ، هكذا جاء مفسراً  
وكذلك حديث أم الطفيل وحديث ابن عباس وغيرهما مما فيه رؤية ربه إنما كان بالمدينة  
كما جاء مفسراً في الأحاديث ، والمعراج كان بمكة كما قال تعالى ( سبحان الذي أسرى بعبده  
ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ) وقد بسط الكلام على هذا في غير  
هذا الموضع .

وقد ثبت بنص القرآن أن موسى قيل له ( إن تراني ) وأن رؤية الله أعظم  
من انزال كتاب من السماء ، كما قال تعالى ( يسألك أهل الكتاب إن تنزل عليهم  
كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة ) فمن قول  
أن أحداً من الناس يراه فقد زعم أنه أعظم من موسى بن عمران ودعواه أعظم  
من دعوى من ادعى أن الله أنزل عليه كتاباً من السماء  
والناس في رؤية الله على ثلاثة أقوال . فالصحابه والتابعون وأئمة المسلمين على

أن الله يرى في الآخرة بالابصار عيانا ، وأن أحدا لا يراه في الدنيا بعينه لكن يرى في المنام ويحصل للقلوب من المكاشفات والمشاهدات ما يناسب حالها . ومن الناس من تقوى مشاهدة قلبه حتى يظن انه رأى ذلك بعينه وهو غايب ومشاهدات القلوب تحصل بحسب إيمان العبد ومعرفة في صورة مثالية كما قد بسط في غير هذا الموضوع (والقول الثاني) قول نفاة الجهمية إنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة (والثالث) قول من يزعم انه يرى في الدنيا والآخرة

وحلولية الجهمية يجمعون بين النفي والاثبات فيقولون : انه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة وانه يرى في الدنيا والآخرة . وهذا قول ابن عربي صاحب المنصوص وأمثاله لان الوجود المطلق الساري في الكائنات لا يرى وهو وجود الحق عندهم ثم من أثبت الذوات قال يرى متجليا فيها ، ومن فرق بين المطلق والمعين قال لا يرى الا مقيدا بصورة

وهؤلاء قولهم دائر بين أمرين : انكار رؤية الله واثبات رؤية المخلوقات . ويجعلون المخلوق هو الخالق ، أو يجعلون الخالق حالا في المخلوق ، والافتريتهم بين الأعيان الثابتة في الخارج وبين وجودها هو قول من يقول بان المعدوم شيء في الخارج ، وهو قول باطل ، وقد ضموا اليه انهم جعلوا نفس وجود المخلوق هو وجود الخالق . وأما التفريق بين المطلق والمعين مع أن المطلق لا يكون هو في الخارج مطلقا فيقتضي أن يكون الرب معدوما وهذا هو وجود الرب وتعطيله وان جعلوه ثابتا في الخارج جعلوه جزءا من الموجودات فيكون الخالق جزءا من المخلوق او عرضا قائما بالمخلوق . وكل هذا مما يعلم فسادها بالضرورة ، وقد بسط هذا في غير هذا الموضوع واما تناقضه فقوله :

ما غبت عن القلب ولا عن عيني ما بينكم وبيننا من بين يقتضى الغايرة وان المخاطب غير المخاطب وان المخاطب له عين وقلب لا يغيب

عنهما المخاطب بل يشهده القلب والعين والشاهد غير المشهود  
وقوله \* ما بينكم وبيننا من بين \* فيه اثبات ضمير المتكلم وضمير المخاطب  
وهذا اثبات لاثنتين ، وان قالوا هذه مظاهر ومجالي . قيل فان كانت المظاهر  
والمجالي غير الظاهر والمتجلي فقد ثبتت التثنية وبطلت الوحدة ، وان كان هو  
ايها فقد بطل التعدد فالجمع بينهما تناقض .

\* \* \*

### وقول القائل

فارق ظلم الطبع وكن متحدا بالله والافكل دعواك محال  
ان اراد الاتحاد المطلق فالمفارق هو المفارق وهو الطبع وظلم الطبع وهو  
المخاطب بقوله « وكن متحدا بالله » وهو المخاطب بقوله « كل دعواك محال » وهو  
القائل هذا القول ، وفي ذلك من التناقض ما لا يخفى . وان اراد الاتحاد المقيد فهو ممتنع  
لان الخالق والمخلوق اذا اتحدا فان كانا بعد الاتحاد اثنتين كما كانا قبل الاتحاد فذلك  
تعدد وليس باتحاد ، وان كانا استحالا الي شيء ، ثابث كما يتحد الماء واللبن والنار  
والحديد ، ونحو ذلك مما يثبت به النصارى بقولهم في الاتحاد لزم من ذلك ان يكون  
الخالق قد استحال وتبدلت حقيقته كسائر ما يتحد مع غيره فانه لا بد ان يستحيل  
وهذا ممتنع على الله تعالى ينزه عنه لان الاستحالة تقتضى عدم ما كان موجودا والرب  
تعالى واجب الوجود بذاته وصفاته اللازمة له ، يمتنع عدم على شيء من ذلك ، ولان  
صفات الرب اللازمة له صفات كمال ، فعدم شيء منها نقص يتعالى الله عنه ، ولان  
اتحاد المخلوق بالخالق يقتضى ان العبد متصف بالصفات القديمة اللازمة لذات الرب  
وذلك ممتنع على العبد المحدث المخلوق ، فان العبد يلزمه الحدوث والافتقار والذل  
والرب تعالى يلازمه القدم والغنى والعزة ، وهو سبحانه قديم غني عزيز بنفسه  
يستحيل عليه نقيض ذلك فاتحاد أحدهما بالآخر يقتضى ان يكون الرب متصفا



بنقيض صفاته من الحدوث والفقر والذل ، والعبد متصفا بنقيض صفاته من القد  
والغنى الذاتي والعز الذاتي . وكل ذلك ممتنع . وبسط هذا يطول

ولهذا سئل الجنيد عن التوحيد فقال : التوحيد افراد الحدوث عن القدم  
فبين أنه لا بد من تمييز المحدث عن القديم

ولهذا اتفق أئمة المسلمين على أن الخالق بائن عن مخلوقاته ليس في مخلوقاته  
شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته بل الرب رب والعبد عبد ( إن كل  
من في السموات والارض الا آبي الرحمن عبدا \* لقد أحصاهم وعدهم عدا \*  
وكلهم آتية يوم القيامة فردا )

فان كان المتكلم بهذا البيت أراد الاتحاد الوصفي وهو أن يحب العبد ما يحبه

الله . ويبغض ما يبغضه الله . ويرضى بما يرضى الله . ويفض ما يفض الله .

ويامر بما يأمر الله . وينهى عما ينهى الله عنه . ويوالي من يواليه الله . ويعادي

من يعاديه الله . ويحب لله . ويبغض لله . ويعطي لله . ويمنع لله . بحيث يكون

موافقا لربه تعالى . فهذا المعنى حق وهو حقيقة الايمان وكلامه ، كما في الحديث

الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقول الله تعالى :

من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب الى عبدي بمثل أداء ما اقترضت

عليه . ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوفل حتى أحبه ، فاذا أحببتة كنت سمعه

الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي

بها ، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ، ولئن سألتني لأعطينته ولئن

استعاذني لأعيذنه . وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي

المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ، ولا بد له منه »

وهذا الحديث يحتاج به اهل الوحدة وهو حجة عليهم من وجوه كثيرة .

( منها ) انه قال « من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة » فأثبت نفسه ووليه

ومعادي وإيه وهؤلاء ثلاثة ، ثم قال « وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » فأثبت عبداً يقرب إليه بالفرائض ثم بالنوافل، وأنه لا يزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه فإذا أحبه كان العبد يسمع به ويبصر به ويبطش به ويدني به

وهؤلاء عندهم قبل أن يتقرب بالنوافل وبعده هو عين العبد وعين غيره من المخلوقات فهو بطنه وفخذه ، لا يخصصون ذلك بالأعضاء الأربعة المذكورة في الحديث فالحديث مخصوص بحال مقيد، وهم يقولون بالاطلاق والتعميم ، فأين هذا من هذا؟ وكذلك قد يحتجون بما في الحديث الصحيح « ان الله يتجلى لهم يوم القيامة ثم يأتيهم في صورة غير الصورة التي رأوه فيها أول مرة فيقول : أن ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه . ثم يأتيهم في الصورة التي رأوه فيها في أول مرة فيقول : أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا » فيجعلون هذا حجة لقولهم انه يرى في الدنيا في كل صورة بل هو كل صورة . وهذا الحديث حجة عليهم في هذا أيضا ، فانه لا فرق عندهم بين الدنيا والآخرة وهو عندهم في الآخرة المنكرون ( ١ ) الذين قالوا نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا . وهؤلاء الملاحدة يقولون ان العارف يعرفه في كل صورة . فان الذين أنكروه يوم القيامة في بعض الصور كان لقصور معرفتهم . وهذا جهل منهم فان الذين أنكروه يوم القيامة ثم عرفوه لما تجلى لهم في الصورة التي رأوه فيها أول مرة هم الانبياء والمؤمنون ، و كان انكارهم مما حمدهم سبحانه وتعالى عليه ، فانه امتحنهم بذلك حتى لا يتبعوا غير الرب الذي عبدوه ، فهذا قل في الحديث « وهو يسألهم ويثبتهم وقد نادى المنادي : ليمتع كل قوم ما كانوا يعبدون »

(١) أي هو تعالى عين الذين ذكر في الحديث انهم يشكرونه حين يجيئهم على غير الصورة التي رأوه عليها في أول مرة

ثم يقال لهؤلاء الملاحدة : اذا كان عندكم هو الظاهر في كل صورة ، فهو المنكر وهو المنكر ، كما قال بعض هؤلاء لاخر : من قال لك ان في الكون سوى الله فقد كذب ، وقال له الآخر فمن هو الذي كذب ؟ وذكر ابن عربي انه دخل على مرید له في الخلوة وقد جاءه "فناط فقال ما أبصر غيره ابول عليه، فقال له شيخه فالذي يخرج من بطنك من أين هو ؟ قال: فرجت عني . ومر شيخان منهم التلمساني هذا والشيرازي تلى كلب أجرب ميت فقال الشيرازي للتلمساني : هذا أيضا من ذاته ؟ فقال التلمساني هل ثم شيء خارج عنها ؟ وكان التلمساني قد اضل شيخا زاعداً عابداً ببیت المقدس يقال له ابو يعقوب المغربي المبتلي ، حتى كان يقول : الوجود واحد ، وهو الله ، ولا أرى الواحد ، ولا أرى الله. ويقول نطق الكتاب والسنة بثنوية الوجود والوجود واحد لاثنوية فيه . ويجعل هذا الكلام له تسبيحا يتلوه كما يتلو التسبيح

\*  
\*  
\*

وأما قول الشاعر:

اذا باغ الصب الكمال من الهوى      وغاب عن المذكور في سطوة الذكر  
فشاهد حقا حين يشهده الهوى      بان صلاة العارفين من الكفر

فهذا الكلام مع انه كفر هو كلام جاهل لا يتصور ما يقول، فن الفناء والغيب هو أن يغيب بالمذكور عن الذكر وبالمعروف عن المعرفة وبالمعبود عن العبادة حتى يبقى من لم يكن ويبقى من لم يزل ، وهذا مقام الفناء الذي يعرض لكثير من السالكين اعجزهم عن كل الشهود المطابق للحقيقة ، بخلاف الفناء الشرعي فمضمونه الفناء بعبادته عن عبادة ماسواه وبمحبته عن حب ماسواه . وبخشية من خشية ماسواه . وبطاعته عن طاعة ماسواه . فان هذا تحقيق التوحيد والایمان ( وأما النوع الثالث ) من الفناء وهو الفناء عن وجود سوى بحيث يرى

أن وجود الخالق هو وجود المخلوق - فهذا هو قول هؤلاء الملاحدة أهل الوحدة -  
والمقصود هنا أن قوله: يغيب عن المذكور، كلام جاهل، فإن هذا لا يحمد أصلاً،  
بل المحمود أن يغيب بالمذكور عن الذكر لا يغيب عن المذكور في سطوات الذكر  
اللهم إلا أن يريد أنه غاب عن المذكور فشهد المخلوق وشهد أنه الخالق ولم يشهد  
الوجود إلا واحداً ونحو ذلك من المشاهد الفاسدة. فهذا شهود أهل الاتحاد لا شهود  
الموحدين. ولعمري إن من شهد هذا الشهود الاتحادي فإنه يرى صلاة العارفين  
من الكفر.

\*  
\* \*

وأما قول القائل :

الكون يناديك، أما تسمعي من ألف أشتي ومن فرقتي  
انظر لتراني منظرًا معتبراً مافي سوى وجوده من أوجدني

فهو من أقوال هؤلاء الملاحدة وأقول لهم كفر متناقض باطل في العقل والدين  
فإنه إذا لم يكن فيه إلا وجود من أوجده كان ذلك الوجود هو الكون النادى  
وهو المخاطب المنادى وهو الاشتات المؤلفة المنفرقة، وهو المخاطب الذي قيل له :  
انظر! . وحينئذ يكون الوجود الواجب التقديم الأزلي قد أوجب نفسه وفرقها  
وألفها . فهذا جمع بين النقيضين فإن الواجب بنفسه لا يكون مفعولاً مصنوعاً ،  
والشيء الواحد لا يكون خالقاً مخلوقاً ، قديماً محدثاً ، واجباً بنفسه واجباً بغيره ، فإن  
هذا جمع بين النقيضين

فالواجب هو الذي لا تقبل ذاته العدم ، والممكن هو الذي تقبل ذاته العدم ،  
فيمتنع أن يكون الشيء الواحد قابلاً للعدم غير قابل للعدم ، والتقديم هو الذي  
لا أول لوجوده والمحدث هو الذي له أول ، فيمتنع كون الشيء الواحد قديماً محدثاً  
ولولا أن قد علم مرادهم بهذا القول لأمكن أن يراد بذلك : مافي سوى

الوجود وجود الذي أوجدني ، وتكون إضافة الوجود الى الله إضافة الملك ، لكن قد علم انه لم يرد هذا ، ولان هذه العبارة لا تستعمل في هذه المعنى ، وانما يراد بوجود الله وجود ذاته لا وجود مخلوقاته وهكذا نول القائل :

ذات وجود الـ - كون للخلق شهود

أن ليس لموجود سوى الحق وجود

مراده أن وجود الكون هو نفس وجود الحق ، وهذا هو قول أهل الوحدة ، والا فلو أراد أن وجود كل موجود من المخلوقات هو من الحق تعالى فليس لشيء وجود من نفسه ، وانما وجوده من ربه والاشياء باعتبار أنفسها لا تستحق سوى العدم وانما حصل لها الوجود من خالقها وبارئها ، فهي دائمة الافتقار اليه لا تستغني عنه لحظة لا في الدنيا ولا في الآخرة - لكان قد أراد معنى صحيحا وهو الذي عليه أهل العقل والدين من الاولين والآخرين .

وهؤلاء القائلون بالوحدة قولهم متناقض ولهذا يقولون الشيء ونقيضه والا فتقوله : منه والى علاه يبدي ويعيد . يناقض الوحدة ، فمن هو البادي والعائد منه واليه إذا لم يكن الا واحداً ؟ وقوله :

وما أنا في طراز الكون شيء لاني مثل ظل مستحيل

يناقض الوحدة ، لان الظل مغاير لصاحب الظل ، فاذا شبه المخلوق بالظل لزم اثنين ، كما إذا شبهه بالشعاع ، فان شعاع الشمس ليس هو نفس قرص الشمس وكذلك إذا شبهه بضوء السراج وغيره والنصارى تشبه الحلول والانحاد بهذا

( وقات ) لمن حضرني منهم وتكلم بشي من هذا : فاذا كنتم تشبهون المخلوق بالشعاع الذي للشمس والنار والخالق بالنار والشمس ، فلا فرق في هذا بين المسيح وغيره فان كل ما سوى الله على هذا هو بمنزلة الشعاع والضوء فما الفرق

بين المسيح وبين ابراهيم وموسى ؟ بل ما الفرق بينه وبين المخلوقات على هذا ؟  
وجعلت اردد عليه هذا الكلام . وكان في المجلس جماعة حتى فهمه فهما جيدا  
وتبين له وللحاضرين أن قولهم باطل لا حقيقة له، وان ما أثبتوه للمسيح إما ممتنع في  
حق كل أحد وإما مشترك بين المسيح وغيره . وعلى التقديرين فتخصيص المسيح  
بذلك باطل

( وذكرت له ) أنه ما من آية جاء بها المسيح الا وقد جاء موسى بأعظم  
منها ، فان المسيح صلوات الله وسلامته وان كان جاء بأحياء الموتى فالموتى الذين أحياهم الله  
على يد موسى أكثر كالذين قالوا ( ان نؤمن لك حتى نرى الله جبهة ) فأخذتهم  
الصاعقة ثم بعثهم الله بعد موتهم كما قال ( ثم بعثناكم من بعد موتكم ) . وكالذي  
ضرب ببعض البقرة ، وغير ذلك ، وقد جاء بأحياء الموتى غير واحد من الانبياء  
والنصارى يصدقون بذلك . وأما جعل العصا حية فهي أعظم من احياء الميت  
فان الميت كانت فيه حياة فردت الحياة الى محل كانت فيه الحياة . وأما جعل  
خشبة يابسة حية، انا تبتلع العصي والحبال فهذا أبغ في القدرة واندر فان الله  
يحيي الموتى ولا يجعل الخشب حياة

وأما انزال المائدة من السماء فقد كان ينزل على قوم موسى كل يوم من  
المن والسلوى وينبع لهم من الحجر من الماء ما هو أعظم من ذلك، فان اكلوى أو اللحم  
ذائما هو أجل في نوعه وأعظم في قدره مما كان على المائدة من الزيتون والسماك وغيرهما ( ١ )

( ١ ) لا يوجد في الانجيل ولا غيرها من كتب النصارى ذكر لانزال مائدة  
من السماء وانما فيها ان المسيح أطعم العدد الكثير في عيد الفصح من خبز وسمك  
قليل كما حصل من نبينا صلوات الله وسلامته يوم الخندق وغيره ، فاما يراد هذا بزول المائدة  
عليهم من السماء بمعنى أنها بقدرة الله وإما ان المائدة لم تنزل لعدم قبولهم بالشرط  
الذي قيد الله نزولها به كما قال بعض المفسرين من السلف ( راجع تفسير آخر  
سورة المائدة من تفسير المنار )

وذكرت له نحواً من ذلك مما يبين أن تخصيص المسيح بالانحاد ودعوى الالهية ليس له وجه، وان سائر ما يذكر فيه اما أن يكون مشتركاً بينه وبين غيره من المخلوقات، واما أن يكون مشتركاً بينه وبين غيره من الانبياء والرسل، مع أن بعض الرسل كإبراهيم وموسى قد يكون أكمل في ذلك منه، واما خلقه من امرأة بلا رجل فخلق حواء من رجل بلا امرأة أعجب من ذلك، فانه خلق من بطن امرأة، وهذا معتاد، بخلاف الخلق من ضلع رجل فان هذا ليس بمعتاد. فما من أمر يذكر في المسيح صلى الله عليه وسلم الا وقد شركه فيه أو فيما هو أعظم منه غيره من بني آدم، فعلم قطعا ان تخصيص المسيح بأهل وان ما يدعونه له ان كان ممكناً فلا اختصاص له به وان كان ممتنعاً فلا وجود له فيه ولا في غيره، ولهذا قال هؤلاء الاتحادية: ان النصراني إنما كفرنا بالتخصيص، وهذا أيضاً باطل. فان في الانحاد عموماً وخصوصاً والمقصود هنا ان تشبيهه الاتحادية أحدهم بالظل المستحيل يناقض قولهم بالوحدة وكذلك قول الآخر:

أحن اليه وهو قلبي وهل يرى سواي أخو وجد يحن لقلبه

ويحجب طرفي عنه إذ هو نظري وما بعده الا لا فراط قربه

هو مع ما قصده به من الكفر والاتحاد كلام متناقض، فان حنين الشيء الى ذاته متناقض، ولهذا قال: وهل يرى سواي أخو وجد يحن لقلبه؟ وقوله: وما بعده الا لا فراط قربه \* متناقض، فانه لا قرب ولا بعد عند أهل الوحدة، فانها تقتضي اثنين يقرب أحدهما من الآخر والوحد لا يقرب من ذاته ولا يبعد من ذاته

\*  
\* \*

وأما قول القائل: التوحيد لا لسان له والالسنه كلها لسانه — فهذا أيضاً من قول أهل الوحدة، وهو مع كفره قول متناقض، فانه قد يعلم بالاضطرار من دين الاسلام أن لسان الشرك لا يكون له لسان التوحيد، وأن أقوال المشركين

الذين قالوا ( لا تدرن آلهتكم ولا تدرن ودا ولا سواعاً ولا يعوث ويعوق  
ونسرا ) والذين قالوا ( مانعبدكم الا ليعربونا الى الله زانبي ) والذين قالوا ( وما نحن  
بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين \* ان نقول الا اعتراك بعض  
آلهتنا بسوء ) والذين قالوا ( حرقوه وانصروا آلهتكم ) ونحو هؤلاء ليس هذا  
هو لسان التوحيد

وأما تناقض هذا القول علي أصلهم، فان الوجود إن كان واحداً كان إثبات  
التعدد تناقضاً، فاذا قال القائل : الوجود واحد، وقال الآخر : ليس بواحد بل  
متعدد، كان هذان القولان متناقضين فيمتنع أن يكون أحدهما هو الآخر. وإذا  
قال قائل : الالهة كلها لسانه فقد صرح بالتعدد، في قوله : الالهة كلها، وذلك  
يقضي أن لا يكون هذا اللسان هو هذا اللسان، فثبت التعدد وبطلت الوحدة.  
وكل كلام لهؤلاء وغيرهم فانه ينقض أصلهم فانهم مضارون الى اثبات التعدد

فان قالوا : الوجود واحد بمعنى أن الموجودات اشتركت في مسمى الوجود  
فهذا صحيح، لكن الموجودات المشتركة في مسمى الواحد لا يكون وجود هذا  
عين وجود هذا، بل هذا اشترك في الاسم العام الكلبي، كاشتركت في  
الاسماء التي يسميها النحلة اسم الجنس، يتسمها المنطقيون الى جنس ونوع  
وفصل وخاصة وعرض عام، فالاشترار في هذه الاسماء هو مستلزم لتباين الاعيان  
وكون أحد المشتركين ليس هو الآخر. وهذا مما يعلم به أن وجود الحق مباين  
لوجود المخلوقات، فانه أعظم من مباينة هذا الوجود لهذا الوجود، فإذا كان وجود  
الفلك مبايناً مخالفاً لوجود الذرة والبعوضة فوجود الحق تعالى أعظم مباينة لوجود  
كل مخلوق من مباينة وجود ذلك المخلوق لوجود مخلوق آخر.

وهذا وغيره مما يبين بطلان قول ذلك الشيخ حيث قال : لا يعرف التوحيد  
الا الواحد، ولا تصح العبارة عن التوحيد، وذلك انه لا يعبر عنه الا بغير، ومن



أثبت غيراً فلا توحيد له — فان هذا الكلام مع كفره متناقض ، فان قوله : لا يعرف التوحيد الا واحد ، يقتضي أن هناك واحداً يعرفه وان غيره لا يعرفه ، هذا تفريق بين من يعرفه ومن لا يعرفه ، واثبات اثنين أحدهما يعرفه والاخر لا يعرفه واثبات للمغايرة بين من يعرفه ومن لا يعرفه ، فقوله بعد هذا : ومن أثبت غيراً فلا توحيد له ، كلام متناقض يناقض هذا

وقوله : إنه لا تصح العبارة عن التوحيد ، كفر باجماع المسلمين ، فان الله قد عبر عن توحيده ورسوله عبر عن توحيده ، والقرآن مملوء من ذكر التوحيد ، بل انما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب بالتوحيد . وقد قال تعالى ( واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ) وقال تعالى ( وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا إله الا أنا فاعبدون ) ولو لم يكن يصح عنه عبارة لما نطق به أحد . وأفضل ما نطق به الناطقون هو التوحيد كما قال النبي ﷺ « افضل الذكر لا إله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله ، وقال « من كان اول كلامه لا إله الا الله دخل الجنة »

لكن التوحيد الذي يشير اليه هؤلاء الملاحدة وهو وحدة الوجود أمر ممتنع في نفسه لا يتصور تحققه في الخارج ، فان الوحدة العينية الشخصية تمتنع في الشئيين المتعددين ، ولكن الوجود واحد في نوع الوجود بمعنى أن الاسم الموجود اسم عام يتناول كل أحد ، كما ان اسم الجسم والانسان ونحوهما يتناول كل جسم وكل إنسان ، وهذا الجسم ليس هو ذلك وهذا الانسان ليس هو ذلك وكذلك هذا الوجود ليس هو ذلك

وقوله : لا يعبر عنه الا بغير ، يقال له ( أولاً ) التعبير عن التوحيد يكون بالكلام ، والله يعبر عن توحيده بكلامه فكلام الله وعلمه وقدرته وغير ذلك من صفاته لا يطلق عليه عند الساف والأئمة القول بانه الله ولا يطلق

عليه بانه غير الله، لان لفظ الغير قد يراد به ما يبين غيره وصفات الله لا تباينه ، ويراد به ما لم يكن اياه ، وصفة الله ليست اياه، ففي احد الاصطلاحين يقال انه غيره وفي الاصطلاح الآخر لا يقال انه غير. فلماذا لا يطلق احدهما الا مقرونا ببيان المراد لئلا يقول المبتدع اذا كانت صفة الله غيره فكل ما كان غير الله فهو مخلوق ، فيتوسل بذلك إلى ان يجعل علم الله وقدرته و كلامه ليس هو صفة قائمة به بل مخلوقة في غيره ، فان هذا فيه من تعطيل صفات الخالق وجحد كماله ما هو من أعظم الإلحاد، وهو قول الجهمية الذين كفروهم السلف والأئمة تكفيراً مطلقاً. وان كان الواحد المعين لا يكفر الا بعد قيام الحججة التي يكفر تاركها

وأيضاً فيقال لهؤلاء الملاحدة: ان لم يكن في الوجود غير بوجه من الوجود لزم أن يكون كلام الخلق واكلامهم وشربهم ونكاحهم وزناهم وكفرهم وشركهم وكل ما يفعلونه من القبائح هو نفس وجود الله ومعلوم أن من جعل هذا صفة لله كان من أعظم الناس كفراً وضلالاً. فمن قل انه عين وجود الله كان اكفر وأضل، فان الصفات والاعراض لا تكون عين الوجود القائم بنفسه. وائمة هؤلاء الملاحدة كمن عربي يقول :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

فيجعلون كلام المخلوقين من الكافر والذنب وغير ذلك - كلاماً لله. وأما هذا الملحد فزاد على هؤلاء فجعل كلام الخالق وعبادتهم نفس وجوده - يجعل ذلك كلاماً له بل نفي أن يكون هذا كلاماً له لئلا يثبت غيراً له

وقد علم بالكتاب والسنة والاجماع وبالعلوم العقلية الضرورية إثبات غير الله تعالى، وان كل ما سواه من المخلوقات فانه غير الله تعالى، ليس هو الله ولا صفة من صفات الله . ولهذا أنكر الله على من عبد غيره ، ولو لم يكن هناك غير لما صح الانكار قال تعالى ( قل أفغير الله تأمروني أعبد أمها الجاهلون ) وقال تعالى ( قل أغير الله أمخذوا بما فطر السموات والأرض ) وقال تعالى ( هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ) وقال تعالى ( أفغير الله ابتغي حكماً وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً )

وكذلك قول القائل: وجدت المحبة غير المقصود، لأنها لا تكون إلا من غير  
 لغير، وغير ماثم، ووجدت التوحيد غير المقصود، لأن التوحيد ما يكون إلا من عبد  
 لرب، ولو أنصف الناس مارأوا عابداً ولا معبوداً — هو كلام فيه من الكفر  
 والاحاد والتناقض مالا يخفى، فإن الكتاب والسنة واجماع المساهين اثبتت محبة  
 الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له كقوله تعالى (والذين آمنوا أشد حبا لله) وقوله  
 (يحبههم ويحبونه) وقوله (احب اليكم من الله ورسوله) وقوله (إن الله يحب  
 المتقين) \* يحب المحسنين \* يحب التوابين ويحب المتطهرين \* يحب المقسطين) وقال  
 النبي ﷺ في الحديث الصحيح « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان :  
 من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله، ومن  
 كان يكره ان يرجع في الكفر بعد إذ انقذه الله منه كما يكره ان يلتمس في النار »  
 وقد اجمع سلف الامة وائمة على اثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له ،  
 وهذا اصل دين الخليل امام الحنفاء عليه السلام

واول من اظهر ذلك في الاسلام الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبد الله  
 القسري يوم الاضحى بواسطة وقل : ايها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني  
 مضح بالجعد بن درهم ، انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً ،  
 تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً . ثم نزل فذبجه

وقوله: المحبة ما تكون إلا من غير لغير، وغير ماثم — كلام باطل من كل وجه  
 فإن قوله لا يكون إلا من غير، ليس بصحيح، فإن الانسان يحب نفسه وليس غيراً  
 لنفسه، والله يحب نفسه، وقوله ماثم غير — باطل، فإن المخلوق غير الخالق والمؤمنون  
 غير الله وهم يحبونه، فالدعوى باطلة، فكل واحدة من مقدماتي الحججة باطلة — قوله  
 لا تكون إلا من غير لغير، وقوله غير ماثم — فإن الغير موجود، والمحبة تكون من  
 المحب لنفسه ولهذا كثير من الاتحادية يناقضه في هذا القول ويقول كما قال ابن الفارض  
 وكذلك قوله: التوحيد لا يكون إلا من عبد لرب ولو أنصف الناس مارأوا  
 عابداً ولا معبوداً — كلا المقدمتين باطل، فإن التوحيد يكون من الله لنفسه فإنه يوحد  
 نفسه بنفسه كما قال تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو) والقرآن مملوء من توحيد الله لنفسه

قد وحد نفسه بنفسه كقوله (واللهم إله واحد) وقوله (وقال الله لا تتخذوا إلهين  
ثنتين إنما هو إله واحد) وقوله (فاعلم انه لا إله إلا الله) وأمثلة ذلك. وأما المقدمة الثانية  
قوله إن الناس لو أنصفوا أمارأوا عابداً ولا معبوداً - مع انه غاية في الكفر والاحاد  
كلام متناقض فانه اذا لم يكن ثم عابد ولا معبود بل الكل واحد فمن هم الذين  
لا ينصفون؟ ان كانوا هم الله؟ فيكون الله هو الذي لا ينصف؟ وهو الذي يأكل  
يشرب ويكفر، كما يقول ذلك كثير منهم مثل ما قال بعضهم لشيخه: الفقير إذا  
سح أكل بالله، فقال له الآخر: الفقير اذا صح أكل الله. وقد صرح ابن عربي  
غيره من شيوخهم بانه هو الذي يجوع ويعطش ويعرض ويبول وينكح  
ينكح، وأنا مرصوف بكل نقص وعيب، لان ذلك هو الكمال عندهم. كقول  
في النصوص: فالعلي بنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستتضي به جميع الامور  
وجودية والنسب العدمية سواء كانت محودة عرفاً وعقلاً وشرعاً أو مذمومة  
رفاً وعقلاً وشرعاً، وايس ذلك الا لسمى الله خاصة (وقل) ألا ترى الحق  
ظهر بصفات المحدثات وأخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص والذم؟ ألا ترى  
لخلق يظهر بصفات الخلق. ففي كلاً من أولها الى آخرها صفات العبد كما ان  
صفات العبد من أولها الى آخرها صفات الله تعالى

وهذا المتكلم بمثل هذا الكلام يتدقق فيه فانه يقال له: فانت اكمل في  
نفسك الذي لا ترى عابداً ولا معبوداً نعم مالك بموجب مذهبك فتضرب وتوجع،  
تهان وتصنع، واذا تظلم من فعل به ذلك واشتكى وصاح منه وبكى قيل له: ثم  
ير، ولا عابد ولا معبود، فلم يفعل بك هذا غيرك، بل الضارب هو المضروب  
الشتم هو المشتموم، والعابد هو العبود. فان قل: تظلم من نفسه واشتكى من نفسه  
بل له أيضاً: فقل عبد نفسه، فاذا أثبت ظالماً ومظلوماً وهم واحد قيل له: فأثبت عابداً  
معبوداً وهما واحد.

ثم يقال له: هذا الذي يضحك ويضرب هو نفس الذي يبكي ويصيح؛  
هذا الذي شبع وروي هو نفس هذا الذي جاع وعطش؛ فان اعترف بانه غيره  
ثبت المغايرة، واذا أثبت المغايرة بين هذا وهذا، فبين العابد والمعبود والى

واخرى . وان قال : بل هو هو عومل معاملة السوفسطائية ، فان هذا القول  
أقبح السفسطة . فيقال فاذا كان هو هو فنحن نضربك ونقتلك والشيء قد  
نفسه وأهلك نفسه .

والانسان قد يظلم نفسه بالذنوب فيقول ( ربنا ظلمنا أنفسنا ) لكون نفس  
أمرته بالسوء ، والنفس امارة بالسوء ، لكن جهة أمرها ليست جهة فعلها ، بل لا  
من نوع تعدد اما في الذات واما في الصفات ، وكل أحد يعلم بالحس والاضطرار  
ان هذا الرجل الذي ظلم ذلك ليس هو اياه وليس هو بمنزلة الرجل الذي ظلم نفسه  
واذا كان هذا في المخلوقين فالخالق أعظم مباينة للمخلوقين من هذا لهذا . سبحان  
وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

ولولا أن اصحاب هذا القول كثروا وظهروا وانتشروا ، وهم عند كثير  
من الناس سادات الانام ، ومشايخ الاسلام ، وأهل التوحيد والتحقيق ، وأفضل  
أهل الطريق ، حتى فضلواهم على الانبياء والمرسلين ، وأكابر مشايخ الدين  
يكن بنا حاجة الى بيان فساد هذه الاقوال وايضاح هذا الضلال . ولو كان تعلم  
الضلال لاحد له ، وان العقول اذا فسدت ، لم يبق لضلالها حد معقول ، فسبحان  
فرق بين نوع الانسان فجعل منه من هو أفضل العالمين ، وجعل منه من هو شر  
من الشياطين ، ولكن تشبيه هؤلاء بالانبياء والاولياء ، كتشبيه مسيئة الكذاب  
بسيد اولى الالباب هو الذي يوجب جهاد هؤلاء الملحدين الذين يفسدون الدنيا والدين  
والمقصود هنا رد هذه الاقوال ، وبيان الهدى من الضلال ،

وأما توبة من قتلها وموتته على الاسلام . فهذا يرجع الى الملك العلام ، فان الله يقبل  
التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . ومن الممكنات انه قد تاب على أصحاب هذا  
المتالات ، والله تعالى غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب ، والذنب ان عظم ، والذنب  
وان غلظ وجسم ، فان التوبة تمحو ذلك كله ، والله سبحانه لا يتعاضمه ذنب  
يعفوه لمن تاب ، بل يعفو الشرك وغيره للتائبين ، كما قال تعالى ( قل يا عبادي الذين  
أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه  
الغفور الرحيم ) وهذه الآية عامة مطلقة لانها للتائبين . وأما قوله ( ان الله لا يعفو

يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) فانها مقيدة خاصة لانها في حق غير تبين. لا يغفر لهم الشرك ومادون الشرك معلق بمشيئة الله تعالى

\*\*\*

وأما الحكاية المذكورة عن الذي قال انه اتقم العالم كله ، وأراد أن يقول : أنا قتي واختها التي قيل فيها: ان الالهية لا يدعيها إلا أجهل مخلوق الله وأعرف خلق - هو من هذا الباب .

والفقير الذي قال : ما خلق الله أقل عقلا ممن ادعى انه إله مثل فرعون رود وأمثالهما - هو الذي أصاب ونطق بالصواب ، وسدد في الخطاب . كن هؤلاء الملاحدة يعظمون فرعون وأمثاله ويدعون انهم خير من موسى مثاله ، حتى انه عدثي بهاء الدين عبد السيد الذي كان قاضي اليهود وأسلم سن اسلامه رحمه الله وكان قد اجتمع بالشيرازي أحد شيوخ هؤلاء ودعاه الى القول ، وزينه له فحدثني بذلك ، فبيت اه ضلال هؤلاء ، وكفرهم . وان قولهم جنس قول فرعون . فتال الى : انه لما دعاء حسن الشيرازي الى هذا القول قال له : كم هذا يشبه قول فرعون ، فقل : نعم ، ونحن على قول فرعون ، وكان عبد السيد ذلك لم يسلم بعد ، فتال : أنا لأدع موسى وأذهب الى فرعون ، قال له ولم ؟ قال : موسى أغرق فرعون . فنقطع . فاحتج عليه بالنصر القمدي الذي نصر الله به على لا يكونه كان رسولا صادقا . قلت لعبد السيد : وقر لك انه على قول فرعون ؟ نعم ، قلت فمع إقرار الخصم لا يحتاج الى بيعة . أنا كنت أريد أن أبين لك أن قولهم قول فرعون فاذا كان قد أقر بهذا فقد حصل المقصود

فهذه المقالات وأمثالها من اعظم الباطل . وقد زبينا على بعض ما به يعرف معناها وأنه لوالواجب إنكارها . فإن إنكار هذا المنكر الساري في كثير من المسلمين أولى من كاردن اليهود والنصارى الذي لا يضل به المسلمون لاسيما و اقوال هؤلاء شر من اليهود والنصارى وفرعون ومن عرف معناها واعتدتها كان من المنافقين الذين أمر بجهادهم بقوله تعالى (جاهد الكفار والمنافقين واغاط عليهم) والنفاق إذا عظم ن صاحبه شرا من الكفار وأهل الكتاب ، وكان في الدرك الاسفل من النار

وايس لهذه المقالات وجه سانغ ، ولو قدر أن بعضها يحتمل في اللغة معنى صحيحا فانما يحمل عليها اذا لم يعرف مقصود صاحبها ، وهؤلاء قد عرف مقصودهم كما عرف دين اليهود والنصارى والرافضة، ولهم في ذلك كتب مصنفه ، وأتغار مؤلفه، وكلام يفسر بعضه بعضا. وقد علم مقصودهم بالضرورة ، فلا ينازع في ذلك إلا جاهل لا يلتفت اليه . ويجب بيان معناها وكتف مغزاها بان أحسن الظن بها وخيف عليه أن يحسن الظن بها وأن يضل ، فن ضررها على المسلمين أعظم من ضرر السموم التي يأكلونها ولا يعرفون انها سموم ، وأعظم من ضرر السراق والخونة الذين لا يعرفون انهم سراق وخونة ، فان هؤلاء غاية ضررهم موت الانسان أو ذهاب ماله، وهذه مصيبة في دنياه قد تكون سبباً لرحمته في الآخرة ، وأما هؤلاء فيسقون الناس شراب الكفر والاحاد في آنية أبياء الله وأوليائه ، ويلبسون ثياب المجاهدين في سبيله الله وهم في الباطن من المحاربين لله ورسوله ، ويظهرون كلام الكفار والمنافقين ، في قوالب ألقاظ أولياء الله المحققين ، فيدخل الرجل معهم على أن يصير مؤمنا وائيا لله، فيصير منافقا عدوا لله ولقد ضربت لهم مرة مثلا بقوم أخذوا طائفة من الحاج ليحجوا بهم فذهبوا بهم الى قبرص لينصروهم، فقال لي بعض من كان قد انكشف له ضلالهم من اتباعهم ، لو كانوا يذهبون بنا الى قبرص لكانوا يجعلوننا نصاري، وهؤلاء كانوا يجعلوننا شرأ من النصاري، والامر كما قاله هذا القائل

وقد رأيت وسمعت عن ظن هؤلاء من أولياء الله وأن كلامهم كلام العارفين المحققين من هو من أهل الخير والدين مالا أحصيههم ، فمنهم من دخل في الحادهم وفهمه وصار منهم ، ومنهم من كان يؤمن بما لا يعلم ، ويعظم مالا يفهم ، ويصدق بالمجهولات ، وهؤلاء هم أصلح الطوائف الضالين ، وهم بمنزلة من يعظم اعداء الله ورسوله ولا يعلم انهم أعداء الله ورسوله ، ويوالي المشركين وأهل الكتاب ، ظاننا أنهم من أهل الايمان وأولي الالباب ، وقد دخل بسبب هؤلاء الجهرال المعظمين لهم من الشر على المسلمين ، مالا يحصيه إلا رب العالمين وهذا الجواب ، لم يتسع لاكثر من هذا الخطاب ، والله أعلم بالصواب

مفيدة مذنب الاحاديث

أو

وحدة الى جود

و بيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية ﴿

من تحقيقات

شيخ الاسلام الامام ابن تيمية  
قدس سره



(رسالة شيخ الاسلام الى من سأله عن حقيقة مذهب الاتحاديين  
أى القائلين بوحدة الوجود)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين \* الرحمن الرحيم \* مالك يوم الدين \* وأشهد أن لا إله إلا  
الله الاحد الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين صلوات الله وسلامه  
كثيراً وعلى سائر اخوانه المرسلين  
(أما بعد) فقد وصل كتابك تلتمس فيه بيان حقيقة مذهب هؤلاء الاتحادية  
وبيان بطلانه، وانك كنت قد سمعت مني بعض البيان لفساد قولهم، وضاق الوقت  
بك عن استتمام بقية البيان، وأعجلك السفر، حتى رأيت عندكم بعض من ينصر  
قولهم ممن ينتسب الى الطريقة والحقيقة، وصادف مني كتابك موقعا، ووجد محملا  
قابلا، وقد كتبت اليك بما ارجو من الله أن ينفع به المؤمنين، ويدفع به بأس  
هؤلاء الملاحدة المنافقين، الذين يلحدون في أسماء الله وآياته المخلوقات والمنزلات  
في كتابه المبين، ويبين الفرق بين ما عليه أهل التحقيق واليقين، من أهل العلم  
والمعرفة المهتدين، وبين ما عليه هؤلاء الزنادقة المشبهين بالعارفين، كما تشبه بالانبياء  
من تشبه من المتنئين، وكما شبهوا بكلام الله ما شبهوه به من الشعر المفتعل وأحاديث  
المفترين، لتبين ان هؤلاء من جنس الكفار المنافقين المرتدين، اتباع فرعون  
والقرامطة الباطنيين، وأصحاب مسيلمة والعنسي ونحوهما من المفترين، وان أهل  
العلم والايمان من الصديقين والشهداء والصالحين، سواء كانوا من المقربين السابقين،  
او من المقتصدين اصحاب اليمين، هم من اتباع ابراهيم الخليل وموسى الكليم،  
ومحمد المبعوث الى الناس اجمعين. وقد فرق الله في كتابه المبين الذي جعله حاكما

بين الناس فيما اختلفوا فيه من الحق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والمؤمنين والكافرين، وقال تعالى ( ام حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ؟ ) وقال ( ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار ؟ ) وقال ( افنجعل المسلمين كالمجرمين ما ليكم كيف تحكمون ؟ )

وقد بين حال من تشبه بالانبياء وباهل العلم والايمان من اهل الكذب والفجور الملبوس عليهم الابسين. وأخبر ان لم تنزلا ووحيا واكن من الشياطين، فقال تعالى ( وان الشياطين ليوحون الى اولياءهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون ) وقال تعالى ( هل انبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل اوك اثيم ) وأخبر ان كل من ارتد عن دين الله فلا بد ان يأتي الله بداه بمن يقيم دينه للمبين، فقال ( يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخفون لومة لائم ذلك فصل الله يؤتية من يشاء والله واسع عليم )

وذلك ان مذهب هؤلاء الملاحدة فيما يقولونه من الكلام وينظمونه من الشعر بين حديث منترى وشعر مفتعل. واليهما اشار ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما قال له عمر بن الخطاب في بعض ما يخاطبه به: يا خايفة رسول الله تألف الناس. فأخذ بالحيتة وقال: يا ابن الخطاب، جباراً في الجاهلية خواراً في الاسلام؟ علام اننا نقيم؟ أعلى حديث منترى؟ ام شعر مفتعل؟ يقول: اني لست ادعوهم الى حديث منترى كقرآن مسيامة، ولا شعر مفتعل كسحر طليحة الاسدي.

وهذان النوعان هما اللذان يمارض بهما القرآن اهل الفجور والافك المبين. قال تعالى ( فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم ) الى آخر الآية. وقال تعالى ( وانه لتنزيل رب العالمين \* نزل به الروح الامين ) الآيات الى

قوله (وما تنزلت به الشياطين الى آخر السورة . فذكر في هذه السورة علامة الكهان الكاذبين، والشعراء الغاوين، ونزله عن هذين الصنفين كما في سورة الخاقية . وقال تعالى ( انه لقول رسول كريم \* ذي قوة عند ذي العرش مكين ) الى آخر السورة فلرسول هنا جبريل . وفي الآية الاولى محمد صلوات الله وسلامته عليه . ولهذا نزله محمداً هناك ان يكون شاعراً او كاهناً ونزله هنا الرسول اليه ان يكون من الشياطين

## فصل

اعلم - هداك الله وأرشدك - ان تصور مذهب هؤلاء ، كاف في بيان فسادهم ولا يحتاج مع حسن التصور الى دليل آخر ، وانما تقع شبهة لان أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم ، لما فيه من الالفاظ المجملة والمشاركة ، بل وهم أيضا لا يفهمون حقيقة ما يقصدونه ويقولونه ، ولهذا يتناقضون كثيراً في قولهم ، وانما يتخيلون شيئاً ويقولونه او يتبعونه ، ولهذا قد اختلفوا بينهم على فرق ، ولا يهتدون الى التمييز بين فرقهم ، مع استشعارهم انهم مفرقون ، ولهذا لما بينت لطوائف من اتباعهم ورؤسائهم حقيقة قولهم ، وسر مذهبهم ، صاروا يمظمون ذلك ، ولولا ما اقرنه بذلك من الذم والرد لجلوني من أئمتهم ، وبذلوا لي من طاعة نفوسهم وأموالهم ما يجبل عن الوصف ، كما تبدله النصارى لرؤسائهم ، والاسماعيلية لكبرائهم ، وكما يذل آل فرعون لفرعون ،

وكل من يقبل قول هؤلاء ، فهو أحد رجاين اما جاهل بحقيقة امرهم ، واما ظالم يريد علواً في الارض وفساداً ، او جامع بين الوصفين . وهذه حال اتباع فرعون الذين قال الله فيهم ( فاستخف قومه فأطاعوه ) وحال القرامطة مع رؤسائهم ، وحال الكفار والمنافقين في أئمتهم الذين يدعون الى النار ويوم اقيامة لا ينصرون ( ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً ) الى آخر الآية وقوله ( والعنهم لعنا كبيرا ) وقال تعالى ( ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً - الى قوله - وما هم بخارجين من النار )

## فصل

اعلم ان حقيقة قول هؤلاء ان وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى ليس وجودها غيره ولا شيء سواه ألبتة، ولهذا من سماهم حلولية أو قال هم قائلون بالحلول رأوه محجوبا عن معرفة قولهم خارجا عن الدخول الى باطن امرهم، لأن من قال ان الله يحل في المخلوقات فقد قال بأن المحل غير الحل، وهذا تنبيه عندهم واثبات لموجودين (احدهما) وجود الحق الحل (والثاني) وجود المخلوق المحل وهم لا يقرون باثبات وجودين ألبتة. ولا ريب ان هذا القول اقل كفرا من قولهم، وهو قول كثير من الجهمية الذين كان السلف يردون قولهم، وهم الذين يزعمون ان الله بذاته في كل مكان. وقد ذكر جماعات من الأئمة والسلف عن الجهمية وكفروهم به، بل جعلهم خاق من الأئمة - كابن المبارك ويوسف بن اسباط وطائفة من اهل العلم والحديث من اصحاب احمد ونيرد - خارجين بذلك عن الثنتين والسبعين فرقة. وهو قول بعض متكلمي الجهمية وكثير من متعبديهم.

ولا ريب ان إلحاد هؤلاء المتأخرين وتجهمهم وزندقتهم تفريع وتكميل لالحاد هذه الجهمية الاولى وتجهمها وزندقتهما

وأما وجه تسميتهم اتحادية ففيه طريقان (حدهما) لا يرضونه لان الاتحاد على وزن الاقتران والاقتران يقتضي شيئين أحدهما بالآخر وهم لا يقرون بوجودين أبدا (والطريق الثاني) صحة ذلك بناء على ان الكثرة صارت وحدة كما سأبينه من اضطرابهم

وهذه الطريقة إما على مذهب ابن عربي فإنه يجعل الوجود غير الثبوت ويقول ان وجود الحق قاض على ثبوت الممكنات. فيصح الاتحاد بين الوجود والثبوت. وإما على قول من لا يفرق فيقول ان الكثرة الخيالية صارت وحدة بعد الكشف أو الكثرة العينية صارت وحدة اطلاقية

## فصل

ولما كان أصلهم الذي بنوا عليه أن وجود المخلوقات والمصنوعات حتى وجود الجن والشياطين والكافرين والفاسقين والكلاب والخنازير والنجاسات والمكفر والفسوق والعصيان عين وجود الرب، لا أنه متميز عنه منفصل عن ذاته، وإن كان مخلوقاً له مربوباً مصنوعاً له قائماً به، وهم يشهدون أن في الكائنات تفرقا وكثرة ظاهرة بالحس والعقل، فاحتاجوا إلى جمع يزيل الكثرة، ووحدة ترفع التفرق مع ثبوتها، فاضطربوا على ثلاث مقالات، أنا أيدنها لك وإن كانوا هم لا يبين بعضهم مقالة نفسا ومقالة غيره لعدم كمال شهود الحق وتصوره

## المقالة الأولى

﴿ مقالة ابن عربي صاحب فصوص الحكيم ﴾

وهي مع كونها كفرا فهو أقربهم إلى الإسلام لما يوجد في كلامه من الكلام الجيد كثيرا، ولأنه لا يثبت على الاتحاد ثبات غيره، بل هو كثير الاضطراب فيه، وإنما هو قائم مع خياله الواسع الذي يتخيل فيه الحق تارة والباطل أخرى. والله أعلم بما مات عليه. فإن مقالته مبذية على أصلين

## الأصل الأول لمذهب ابن عربي

( أحدهما ) أن المعدوم شيء ثابت في العدم، موافقة لمن قال ذلك من المعتزلة والرافضة. وأول من ابتدع هذه المقالة في الإسلام أبو عثمان الشحام شيخ أبي علي الجبائي وتبعه عليها طوائف من القدرية المبتدعة من المعتزلة والرافضة، وهؤلاء يقولون أن كل معدوم يمكن وجوده فإن حقيقته وماهيته وعينه ثابتة في العدم، لأنه لولا

ثبوتها لما تميز المعلوم المخبر عنه من غير المعلوم المخبر عنه، ولما صح قصد ما يراد بإيجاده، لأن القصد يستدعي التمييز، والتمييز لا يكون إلا في شيء ثابت، لكن هؤلاء وان ابتدعوا هذه المقالة التي هي باطلة في نفسها وقد كفرهم بها طوائف من متكلمي السنة فهم يعترفون بان الله خالق وجودها، ولا يقولون ان عين وجودها عين وجود الحق. واما صاحب الفصوص واتباعه فيقولون: عين وجودها عين وجود الحق، فهي متميزة بذواتها اثابته في العدم متحدة بوجود الحق العالم بها. وعامة كلامه ينسبني على هذا لمن تدبره وفهمه

وهؤلاء القائلون بان المعدوم شيء ثابت في العدم سواء قالوا بان وجودها خالق الله او هو الله، يقولون ان الماهيات والاعيان غير مجعولة ولا مخلوقة وان وجود كل شيء قدر زائد على ماهيته، وقد يقولون الوجود صفة للموجود وهذا القول وان كان فيه شبه لقول القائلين بقدوم العالم او القائلين بقدوم مادة العالم وهيولاه المتميزة عن صورته فليس هو اياه، وان كان بينهما قدر مشترك، فان هذه الصورة المحدثه من الحيوان والنبات والمعادن ليست قديمة باتفاق جميع العقلاء، بل هي كائنة بعد ان لم تكن، وكذلك الصفات والاعراض القائمة باجسام السموات والاسطحالات القائمة بالعناصر من حركات الكواكب والشمس والقمر والسحاب والمطر والرعد والبرق وغير ذلك، كل هذا حدث غير قديم، عند كل ذي حس سليم، فانه يرى ذلك بعينه. والذين يقولون بان عين العدم ثابتة في القدم او بان مادته قديمة يقولون بان اعيان جميع هذه الاشياء ثابتة في القدم. ويقولون ان مراد جميع العالم قديمة دون صورته

واعلم ان المذهب اذا كان باطلا في نفسه لم يمكن النقاد ان ينقلوا على وجه يتصور تصورا حقيقيا فان هذا لا يكون الا للحق. فاما القول الباطل فاذا بين فبيانه يظهر فساده، حتى يقال كيف اشبهه هذا على أحد ويتوجب من اعتقادهم

إياه، ولا ينبغي للإنسان أن يعجب، فما من شيء يتخيل من أنواع الباطل إلا وتد  
 ذهب إليه فريق من الناس. ولهذا وصف الله أهل الباطل بأنهم أموات وأنهم (صم بكم  
 عمي) وأنهم (لا يفقهون\* ولا يعقلون) وأنهم (في قول مختلف يؤفك عنه من أفك)  
 وأنهم (في ريبهم يترددون) وأنهم (يعمهمون)

وإنما نشأ - والله أعلم - لاشتباهه على هؤلاء من حيث رأوا أن الله سبحانه يعلم  
 ما لم يكن قبل كونه - أو (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) فرأوا أن  
 المعدوم الذي يخلقه يتميز في علمه وإرادته وقدرته، فظنوا ذلك لتمييز ذات له ثابتة  
 وليس الأمر كذلك. وإنما هو متميز في علم الله وكتابه، والواحد منا يعلم  
 الموجود والمعدوم الممكن والمعدوم المستحيل، ويعلم ما كان كآدم والأنبياء، ويعلم  
 ما يكون كالقيامة والحساب، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون، كما يعلم ما  
 أخبر الله به عن أهل النار (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) وأنهم (لو علم الله فيهم  
 خيراً لا أسماهم) وأنه (لو كان فيهما آلهة  
 كما يقولون إذاً إلا ابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً) وأنهم (لو خرجوا فيكم ما زادوكم  
 إلا خبالاً) وأنه (لولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً)  
 ونحو ذلك من الجمل الشرطية التي يعلم فيها انتفاء الشرط أو ثبوته.

فهذه الأمور التي نعلمها نحن ونتصورها، أما نافرين لها أو مثبتين لها في الخارج  
 أو مترددين - ليس بتجرد تصورنا يكون لأعيانها ثبوت في الخارج عن علمنا وأذهاننا،  
 كما نتصور جبل ياقوت وبحر زئبق وإنساناً من ذهب وفرساناً من حجر. فثبوت الشيء  
 في العلم والتقدير ليس هو ثبوت عينه في الخارج، بل العالم يعلم الشيء ويتكلم به ويكتبه  
 وليس لذاته في الخارج ثبوت ولا وجود أصلاً. وهذا هو تقدير الله السابق لخلقه  
 كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال «ان الله كتب مقادير  
 الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة»

وفي سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال « أول ما خلق الله القلم فقال : اكتب قل : رب وما اكتب ؟ قال ، اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة » وقال ابن عباس « ان الله خالق الخلق وعلم ما هم عاملون ، ثم قال لعلمه « كن كتاباً » فكان كتاباً ؟ ثم انزل تصديق ذلك في كتابه فقال ( ألم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض ، ان ذلك في كتاب ) »

وهذا هو معنى الحديث الذي رواه احمد في مسنده عن ميسرة النجر قال : قلت يا رسول الله متى كنت نبياً ، وفي رواية متى كتبت نبياً؟ - قال « وآدم بين الروح والجسد » هكذا لفظ الحديث الصحيح . وما ما يرويه هؤلاء الجهال<sup>(١)</sup> كابن عربي في النصوص وغيره بن جهال العامة « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » « كنت نبياً وآدم لا ماء ولا طين » فهذا لا اصل له ولم يروه احد من أهل العلم الصادقين ، ولا هو في شيء من كتب العلم المعتمدة بهذا اللفظ بل هو باطل ، فان آدم لم يكن بين الماء والطين قط فان الله خلقه من تراب ، وخالط التراب بالماء حتى صار طينا ولبس الطين حتى صار صلصالا كالفخار ، فلم يكن له حال بين الماء والطين مركب من الماء والتراب ، ولو قيل بين الماء والتراب لكان أبعد عن الحال ، مع ان هذه الحال لا اختصاص ذاء ، وانما قال « بين الروح والجسد » وقل « وان آدم لمنجدل في طينته » لان آدم بقي أربعين سنة قبل نفخ الروح فيه كما قال تعالى ( هل أتى على الانسان حين من الدهر ) الآية وقال تعالى ( وإذا قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من صلصال ) الآيتين . وقال تعالى ( الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ) الآيتين وقال تعالى ( إذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من طين ) الآية . والاحاديث في خالق آدم ونفخ الروح فيه مشهورة في كتب الحديث والتفسير وغيرهما

(١) أي الجهال بعلم الرواية والاسانيد . ونقل الحديث



فاخبر ﷺ انه كان نبيا أي كتب نبيا و آدم بين الروح والجسد . وهذا هو الله أعلم لان هذه الحالة فيها يقدر التقدير الذي يكون بأيدي ملائكة الخلق فيقدر لهم ويظهر لهم ويكتب ما يكون من المخلوق قبل نفخ الروح فيه، كما أخرج الشيخان في الصحيحين وفي سائر الكتب الامهات حديث الصادق المصدوق وهو من الاحاديث المستفيضه التي نلقاها أهل العلم بالقبول وأجمعوا على تصديقها وهو حديث الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قول: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق « ان أحدكم يجمع خلقه في بطن امه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغاً مثل ذلك، ثم يبعث الله الملك فيؤمر باربع كلمات فيقال: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح - وقال - فوالذي نفسي بيده ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة » فلما أخبر الصادق المصدوق ان الملك يكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد بعد خالق الجسد وقبل نفخ الروح، و آدم هو أبو البشر كان أيضاً من المناسب لهذا أن يكتب بعد خلق جسده وقبل نفخ الروح فيه ما يكون منه، ومحمد ﷺ سيد ولد آدم فهو أعظم الذرية قدراً وأرفعهم ذكراً، فأخبر ﷺ انه كتب نبيا حينئذ، وكتابة نبوته هو معنى كون نبوته فانه كون في التقدير الكتابي، ليس كرنا في الوجود العيني، إذ نبوته لم يكن وجودها حتى نبأه الله تعالى على رأس أربعين من عمره ﷺ كما قال تعالى ( وكذلك أوحينا لك روحاً من أمرنا ) الآية . ونال ( ألم يجدك يتيماً فآوى ) الآية . وقال ( نحن نقص عليك أحسن القصص ) الآية . ولذلك جاء هذا المعنى مفسراً في حديث العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ انه قال « اني عبد الله

مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم بأول أمري: دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأيت حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاءت لها منه قصور الشام» هذا لفظ الحديث من رواية ابن وهب

حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرياض رواه البغوي في شرح السنة هكذا، ورواه الليث بن سعد عنه نحوه، ورواه الإمام أحمد في المسند عن ابن مهدي: حدثنا معاوية بن صالح بالاسناد عن العرياض قال قال رسول الله ﷺ «اني عبد الله خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم» الحديث. وفيه «كذلك أمهات النبيين برين» وقوله «لمنجدل في طينته» أي ملتف ومطروح على وجه الارض صورة من طين لم تجر فيه الروح بعد

وقد روي ان الله كتب اسمه على العرش وعلى ما في الجنة من الابواب وانقباب والاوراق، وروي في ذلك عدة آثار توافق هذه الاحاديث الثابتة التي تبين التنويه باسمه واعلاء ذكره حينئذ

وقد تقدم لفظ الحديث الذي في المسند عن ميسرة الفجر لما قيل له متى كنت نبياً؟ قال «وآدم بين الروح والجسد» وقد رواه أبو الحسن بن بشران من طريق الشيخ أبي الفرج بن الجوزي في (الوفاء، بفضائل المصطفى) ﷺ: حدثنا أبو جعفر محمد بن عمرو حدثنا أحمد بن اسحاق بن صالح ثنا محمد بن صالح ثنا محمد بن سنان العوفي ثنا إبراهيم بن طهمان عن يزيد بن ميسرة عن عبد الله ابن سفيان عن ميسرة قال قلت: يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال «لمخلق الله الارض واستوى الى السماء فسواهن سبع سموات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الانبياء وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء

٩ - رسائل ابن تيمية ق ٢

فكتب اسمي على الابواب والاوراق والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد  
فلما أحياه الله تعالى نظر الى العرش فرأى اسمي فأخبره الله انه سيد ولدك ، فلما  
غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي اليه »

وروى ابو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة: ومن طريق الشيخ أبي الفرج  
حدثنا سليمان بن احمد ثنا احمد بن رشد بن ثنا احمد بن سعيد الفهري ثنا عبد الله  
ابن اسماعيل المدني عن عبد الرحمن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر بن الخطاب  
قال : قال رسول الله ﷺ « لما أصاب آدم الخطيئة رفع رأسه فقال يارب بحق  
محمد إلا غفرت لي ، فأوحى اليه وما محمد؟ ومن محمد؟ فقال : يارب إنك لما أنعمت  
خاقي رفعت رأسي الى عرشك فاذا عليه مكتوب : لا إله إلا الله محمد رسول الله ،  
فعلمت انه أكرم خلقك عايك ، إذ قرنت اسمه مع اسمك . فقال : نعم ، قد غفرت  
لك وهو آخر الانبياء من ذريتك ولولاه ما خلقتك » فهذا الحديث يؤيد الذي  
قبله وهما كالتفسير للاحاديث الصحيحة (١)

وفي الصحيحين عن عائشة قالت « أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من  
الوحي الرؤيا الصادقة ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حجب اليه  
الخلاء ، فكان يأتي غار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل  
أن ينزع الى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثها حتى فجأه الحق ،  
وهو بمحراء ، فأتاه الملك فقال له : اقرأ . قل لست بقاريء . قال فأخذني فغطاني  
حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : اقرأ . فقلت : لست بقاريء . قل فأخذني

(١) يشير بقوله كالتفسير للاحاديث الصحيحة الى عدم صحتها وكونها ليست  
بمعنى الاحاديث الصحيحة السابقة وإنما يوافقنا من وجه واحد وهو كتابة المقادير  
قبل خالق ما جرت فيه من الخلق وغرضه منها تقوية الشواهد على علم الله بالاشياء  
وكتابتها اياها قبل خلقها ، وان ثبوتها في العلم غير ثبوتها في الوجود

فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرساني فقال: اقرأ. انما لست بقاريء، ثم أخذني  
 فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرساني، فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق \* خلق  
 الانسان من علق) فرجع لها رسول الله ﷺ أرجف بوادره « الحديث بطوارة،  
 فقد اخبر في هذا الحديث الصحيح انه لم يكن قارئاً، وهذه السورة أول ما أنزل  
 الله عليه وبها صار نبياً، ثم أنزل عليه سورة المدثر، وبها صار رسولا لقواه (قم فأنذر)  
 ولهذا ذكر سبحانه في هذه السورة الوجود العيني والوجود العلمي. وهذا أمر بين  
 يعقله الانسان بقلبه لا يحتاج فيه الى سمع، فان الشيء لا يكون قبل كونه.  
 وأما كون الاشياء معلومة لله قبل كونها فهذا حق لا ريب فيه. وكذلك كونها  
 مكتوبة عنده أو عند ملائكته، كما دل على ذلك الكتاب والسنة وجاءت به الآثار  
 وهذا العلم والكتاب هو القدر الذي يذكره غالية القدرية ويزعمون ان الله لا يعلم  
 افعال العباد إلا بعد وجودها وهم كفار، كفرهم الأئمة كاشافعي واحمد وغيرها  
 وقد بين الكتاب والسنة هذا القدر وأجاب النبي ﷺ عن السؤال  
 الوارد عليه، وهو ترك العمل لاجله، فأجاب ﷺ عن ذلك، ففي الصحيحين عن  
 علي بن ابي طالب قل: كنا في جنازة في بقيع الفرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فتعد  
 وقعدنا حوله، ومعه مخضرة<sup>(١)</sup> فجعل ينكت بمخضرتة ثم قل « ما منكم من أحد  
 - أو قل - ما نفس منفوسة إلا قد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتب  
 شقية أو سعيدة » قال فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل،  
 فمن كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل  
 الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟ فقال « اعملوا فكل ميسر: أما أهل  
 السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل

(١) ككذبة: ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوه وما يأخذه الملك يشير به اذا خاطب

والخطيب اذا خطب

الشقاوة — ثم قرأ ( فأما من أعطى واتقى ) الى آخر الآيات « وفي رواية : كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً وفي يده عود ينكت به الارض فرفع رأسه فقال « ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار » قلوا يا رسول الله فلم نعمل ؟ أفلا نتكل ؟ قال « لا . اعملوا فكل ميسر لما خلق له — ثم قرأ ( فأما من أعطى ) الآية »

وفي الصحيحين أيضاً عن عمران بن حصين قال : قيل يا رسول الله ، أعلم أهل الجنة من أهل النار ؟ قال « نعم » قال فقيل : ففيم يعمل العاملون ؟ فقال « كل ميسر لما خلق له » وفي رواية : ان رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا : يا رسول الله ، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، أشيء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق ، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبت الحجة عليهم ؟ فقال « لا . بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم ، وتصديق ذلك في كتاب الله ( ونفس وما سواها \* فألهمها فجورها وتقواها ) »

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال : جاء سراقه بن مالك بن جعشم قال : يا رسول الله ، بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن ، ففيم العمل اليوم ؟ أفما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ؟ أم فيما يستقبل ؟ قال « لا . بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير » قل : ففيم العمل ؟ قال « اعملوا فكل ميسر »

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة — قل : وعرشه على الماء »

وفي سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت انه قال لابنه : يا بني ، انك لن تجد طعم حقيقة الايمان حتى تعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك . سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان أول ما خلق الله القلم فقال له :

اكتب، قل رب، ما اكتب؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة «  
 يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من مات على غير هذا فليس مني » ورواه  
 الترمذي من وجه آخر عن انوليد بن عباد انه قال : دعاني - يعني اباہ - عند الموت  
 فقال : يا بني اتق الله ، واعلم انك ان تتق الله تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كله . خيره  
 وشره ، وان مت على غير هذا دخلت النار ، اني سمعت رسول الله ﷺ يقول  
 « ان اول ما خلق الله القلم فقال اكتب ، قال ما اكتب؟ قل اكتب القدر ، ما كان  
 وما هو كائن الى الابد »

وفي الترمذي أيضا عن ابي حراثة عن ابيه ان رجلا أتى النبي ﷺ فقال  
 أرأيت رُقَى نـسـترقيها ودواء نـتداوى به وتُقاة نـتقيها ، هل ترد من قضاء الله تعالى  
 شيئا؟ قل « هي من قدر الله »

لكن انما ثبتت في التقدير المعدوم الممكن الذي سيكون ، فأما المعدوم الممكن  
 الذي لا يكون فمثل ادخل المؤمنين النار وإقامة اقامة قبل وقتها ، وقاب الجبال  
 يواقيت ونحو ذلك . فهذا المعدوم ممكن وهو شيء ثابت في العدم عند من يقول  
 المعدوم شيء ، ومع هذا فليس بتقدير كونه ، والله يعلمه على ما هو عليه ، يعلم انه ممكن  
 وانه لا يكون ، وكذلك الممتنعات مثل شريك الباري وولده ، فان الله يعلم انه لم يلد  
 ولم يولد ولم يكن له كفواً احد . ويعلم انه ليس له شريك في الملك ولا ولي من الدل ،  
 ويعلم انه حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، ويعلم انه لا يعزب عنه مثقال ذرة في  
 السموات ولا في الارض . وهذه المعدومات الممتنعة ليست شيئاً باتفاق العقلاء ،  
 مع ثبوتها في العلم ، فظهر انه قد ثبت في العلم ما لا يوجد وما يمنع ان يوجد . إذ  
 العلم واسع ، فاذا توسع المتوسع وقل المعدوم شيء في العلم او موجود في العلم او  
 ثابت في العلم فهذا صحيح ، أما انه في نفسه شيء فهذا باطل ، وبهذا تزول  
 الشبهة الحاصلة في هذه المسئلة

والذي عليه اهل السنة والجماعة وعامة عقلاء بني آدم من جميع الاصناف: ان المعدوم ليس في نفسه شيئاً وان ثبوته ووجوده وحصوله شيء واحد، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع القديم، قال الله تعالى لذكر يا ( وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً ) فأخبر انه لم يك شيئاً . وقال تعالى ( ولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ) وقال تعالى ( ام ذاقوا من غير شيء ام هم الخالقون ) فأنكر عليهم اعتقاد ان يكونوا خلقوا من غير شيء خلقهم ام خلقوا هم انفسهم، ولهذا قال جبير بن مطعم: لما سمعت رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة احسست بفؤادي قد انصدع . ولو كان المعدوم شيئاً لم يتم الانكار، إذا جاز ان يقال ما خلقوا إلا من شيء، لكن هو معدوم فيكون الخالق لهم شيئاً معدوماً . وقال تعالى ( فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً ) ولو كان المعدوم شيئاً لكان التقدير: لا يظلمون موجوداً ولا معدوماً، والمعدوم لا يتصور ان يظلموه فانه ليس لهم

وأما قوله ( ان زلزلة الساعة شيء عظيم ) فهو إخبار عن الزلزلة الواقعة انما شيء، عظيم ليس إخباراً عن الزلزلة في هذه الحال ولهذا قال ( يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ) ولو أريد به الساعة لكان المراد به شيء عظيم في العلم والتقدير وقوله تعالى ( انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ) قد استدل به من قال المعدوم شيء وهو حجة عليه، لانه اخبر انه يريد الشيء، وانه يكونه. وعندهم انه ثابت في العدم وانما يراد وجوده لا عينه ونفسه . وقرآن تد اخبر ان نفسه تراد وتكون وهذا من فروع هذه المسئلة .

فان الذي عليه أهل السنة والجماعة وعامة العقلاء ان الماهيات مجعولة وأن ماهية كل شيء عين وجوده، وانه ليس وجود الشيء قدراً زائداً على ماهيته، بل ليس في الخارج الا الشيء الذي هو الشيء وهو عينه ونفسه وماهية وحقيقته، وليس وجوده وثبوته في الخارج زائداً على ذلك .

وأولئك يقولون الوجود قدر زائد على الماهية ويقولون الماهيات غير مجعولة، ويقولون وجود كل شيء زائد على ماهيته، ومن المتفلسفة من يفرق بين الوجود والواجب والممكن فيقول: الوجود الواجب عين الماهية. وأما الوجود الممكن فهو زائد على الماهية. وشبهة هؤلاء ما تقدم من أن الانسان قد يعلم ماهية الشيء ولا يعلم وجوده، وأن الوجود مشترك بين الموجودات وماهية كل شيء مختصة به. ومن تدبر تبين له حقيقة الامر فانا قد قدمنا الفرق بين الوجود العلمي والعيني. وهذا الفرق ثابت في الوجود والعين والثبوت والماهية وغير ذلك. فثبوت هذه الامور في العلم والكتاب والكلام ليس هو ثبوتها في الخارج عن ذلك (١) وهو ثبوت حقيقتها وماهيتها التي هي هي، والانسان إذا تصور ماهية فقد علم وجودها الذهني، ولا يلزم من ذلك الوجود الحقبقي الخارجي. فقول القائل: قد تصورت حقيقة الشيء وعينه ونفسه وماهيته وماءامت وجوده حصل وجوده العلمي، وما حصل وجوده العيني الحقبقي ولم يعلم ماهيته الحقيقية ولا عينه الحقيقية ولا نفسه الحقيقية الخارجية فلا فرق بين لفظ وجوده ولفظ ماهيته الا أن أحد اللفظين قد يعبر به عن الذهني والآخر عن الخارجي فجاء الفرق من جهة المحل لا من جهة الماهية والوجود واما قولهم: إن الوجود مشترك والحقيقة لا اشتراك فيها، فالقول فيه كذلك فان الوجود المعين الموجود في الخارج لا اشتراك فيه، كما ان الحقيقة المعينة الموجودة في الخارج لا اشتراك فيها. واما العلم يدرك الوجود المشترك كما يدرك الماهية المشتركة، فالمشترك ثبوتة في الذهن لافي الخارج، وما في الخارج ليس فيه اشتراك أبته، والذهن ان ادرك الماهية المعينة الموجودة في الخارج لم يكن فيها اشتراك واما الاشتراك فيما يدركه من الامور المطلقة العامة وليس في الخارج شيء مطلق عام بوصف بالاطلاق والعموم؟ واما فيه المطلق لا بشرط الاطلاق وذلك لا يوجد

(١) أي الخارج عن الامور الثلاثة المذكورة



في الخارج الا معينا، فينبغي للعاقل ان يفرق بين ثبوت الشيء بوجوده في نفسه، وبين ثبوته ووجوده في العلم، فان ذلك هو الوجود العيني الخارجي الحقيقي، وأما هذا فيقال له الوجود الذهني والعلمي. وما من شيء الا له هذان الثبوتان والعلم يعبر عنه باللفظ ويكتب اللفظ بالخط فيصير لكل شيء اربعة مراتب: وجود في الاعيان، ووجود في الازهان، ووجود في اللسان، ووجود في البنان، ووجود عيني، وعلمي، ولفظي، ورسمي

ولهذا كان أول ما أنزل الله على نبيه سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ذكر فيها النوعين فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق \* خلق الانسان من علق) فذكر جميع المخلوقات بوجودها العيني عموماً ثم خصوصاً، فخص الانسان بالخلق بعد ما عم غيره، ثم قال (اقرأ وربك الاكرم \* الذي علم بالقلم \* علم الانسان ما لم يعلم) فخص التعليم للانسان بعد تعميم التعليم بالقلم، وذكر القلم لان التعليم بالقلم هو الخط وهو مستلزم لتعليم اللفظ، فان الخط يطابقه، وتعليم اللفظ هو البيان وهو مستلزم لتعليم العلم، لان العبارة تطابق المعنى، فصار تعليمه بالقلم مستلزماً للمراتب الثلاث: اللفظي، والعلمي، والرسمي، بخلاف ما لو اطلق التعليم او ذكر تعليم العلم فقط لم يكن ذلك مستوعباً للمراتب،

فذكر في هذه السورة الوجود العيني والعلمي وان الله سبحانه هو معطيها فهو خالق الخلق وخالق الانسان، وهو المعلم بالقلم ومعلم الانسان فاما اثبات وجود الشيء في الخارج قبل وجوده فهذا أمر معلوم الفساد بالعقل والسمع وهو مخالف للكتاب والسنة والاجماع.



## فصل

### الأصل الثاني لمذهب ابن عربي

هذا أصل أصلي ابن عربي . وأما الأصل الآخر فتقولهم ان وجود الاعيان نفس وجود الحق وعينه . وهذا انفردوا به عن جميع مثبتة الصانع من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والمشركين ، وإنما هو حقيقة قول فرعون واقرامطة المنكرين لوجود الصانع كما سنبينه ان شاء الله

فن فهم هذا فهم جميع كلام ابن عربي نظمه ونثره (١) وما يدعيه من ان الحق يغتذي بالخلق ، لان وجود الاعيان معتمداً بالاعيان اثباته في العدم ، ولهذا يقول بالجمع من حيث الوجود ، وبالفرق من حيث الماهية والاعيان ، ويذعم ان هذا هو سر القدر ، لان الماهيات لا تقبل الا ما هو ثابت لها في العدم في انفسها ، فهي التي احسنت واساءت ، وحمدت وذمت ، والحق لم يعطها شيئاً الا ما كانت عليه في حال العدم فتدبر كلامه كيف انتظم شيعتين : انكار وجود الحق ، وانكار خلقه لمخلوقاته ، فهو منكر للرب الذي خلق فلا يقرب برب ولا بخلق ، ومذكر لرب العالمين ، فلا رب ولا عالمون مربوبون ، اذ ليس الا اعيان ثابتة ووجود قائم بها ، فلا الاعيان مربوبة ولا الوجود مربوب ، ولا الاعيان مخلوقة ولا الوجود مخلوق . وهذا يفرق بين المظهر والظاهر والمجلي والمتجلي ، لان المظاهر عنده هي الاعيان الثابتة في العدم ، واما المظهر فهو وجود الخلق

(١) هذا يعني قول شيخنا ان كلام ابن عربي مفتاحا من عرفه فهم جميع كلامه فاننا اقرأ افنوحات كما اقرأ اربح ابن الأثير . وقال أيضاً : انما بهم هؤلاء الصوفية مذهبهم بالاصطلاحات التي تشبه الانغاز تقية وهرباً من تكفير الجمهور لهم

## فصل

واما صاحبه الصدر الفخر الرومي فانه لا يقول ان الوجود زائد على الماهية، فانه كان ادخل في النظر والكلام من شيخه، لكنه كفر واقل علما وايمانا، واقل معرفة بالاسلام وكلام المشايخ. ولما كان مذهبهم كفرا كان كل من حذق فيه كان اكفر، فلما رأى ان اتفريق بين وجود الاشياء واعيانها لا يستقيم وعنده ان الله هو الوجود ولا بد من فرق بين هذا وهذا، فرق بين المطلق والمعين، فعنده ان الله هو الوجود المطلق الذي لا يتعين ولا يتميز، وانه اذا تعين وتميز فهو الحق سواء تعين في مرتبة الالهية او غيرها. وهذا نقول قد صرح فيه بالكفر أكثر من الاول، وهو حقيقة مذهب فرعون واقراطة، وإن كان الاول أفسد من جهة تفرقته بين وجود الاشياء وثبوتها، وذلك انه على القول الاول يمكن أن يجعل للحق وجودا خارجا عن اعيان الممكنات، وأنه قض عليها فيكون فيه اعتراف بوجود الرب اقل ثم بنفسه الغني عن خلقه، وان كان فيه كفر من جهة انه جعل المخلوق هو الخالق، والربوب هو الرب، بل لم يثبت خلقا أصلا. ومع هذا فما رأيت صرح بوجود الرب متميزا عن الوجود القائم بأعيان الممكنات. وأما هذا فقد صرح بانه ما ثم سوى الوجود المطلق الساري في الموجودات المعينة. والمطلق ليس له وجود مطلق، فما في الخارج جسم مطلق بشرط الاطلاق، ولا انسان مطلق ولا حيوان مطلق بشرط الاطلاق، بل لا يوجد إلا في شيء معين. والحقائق لها ثلاث اعتبارات: اعتبار العموم، والخصوص، والاطلاق، فاذا قلنا: حيوان عام او انسان عام، أو جسم عام، ووجود عام، فهذا لا يكون إلا في العلم واللسان، وأما الخارج عن ذلك فما ثم شيء موجود في الخارج يعم شيئين، ولهذا كان العموم من عوارض صفات الحي فيقال: علم عام، وارادة عامة، وغضب عام، وخبر عام، وأمر عام، ويوصف صاحب الصفة بالعموم أيضا كما في الحديث الذي

في سنن أبي داود ان النبي ﷺ مر بعلي وهو يدعو فقال « يا علي عمّ ، فان فضل بالعموم على الخصوص كفضل السماء على الارض » وفي الحديث انه لما نزل قوله ( وأنذر عشيرتك الاقربين ) عم وخص . رواد مسلم من حديث موسى بن طلحة عن ابي هريرة ، وتوصف الصفة بالعموم كما في حديث التشهد « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فاذا قلم ذلك فقد أصابت كل عبد صالح لله في السماء والارض »

وأما اطلاق من أطلق ان العموم من عوارض الالفاظ فقط ، فليس كذلك إذ معاني الالفاظ القائمة بالقلب أحق بالعموم من الالفاظ . وسائر الصفات : الارادة والحب والبغض والغضب والرضاء يعرض لها من العموم والخصوص ما يعرض للمقول ، وانما المعاني الخارجة عن الذهن هي الموجودة في الخارج ، كقولهم : مطر عام وخصب عام . هذه التي تنازع الناس : هل وصفها بالعموم حقيقة ارجح ؟ على قولين ( أحدهما ) مجاز لان كل جزء من أجزاء المطر وانصب لا يقع الا حيث يقع الآخر فليس هناك عموم ، وقيل بل حقيقة لان المطر المطلق قد عم .

وأما الخصوص فيعرض لها إذا كانت موجودة في الخارج ، فن كل شيء له ذات وعين تختص به ويمتاز به عن غيره ، أعني الحقيقة العينية الشخصية التي لا اشتراك فيها ، مثل : هذا الرجل وهذه الحبة وهذا الدرهم ، وما عرض لها في الخارج فانه يعرض لها في الذهن . فن تصور الذهنية أوسع من الحقائق الخارجية فانها تشمل ما وجود والمعدوم والمتع والمقدرات

وأما الاطلاق فيعرض لها إذا كانت في الذهن بلا ريب فان العقل يتصور انسانا مطلقا ووجوداً مطلقاً . واما في الخارج فهل يتصور شيء مطلق ؟ هذا فيه قولان ، قيل : المطلق له وجود في الخارج فانه جزء من المعين ، وقيل لا وجود له في الخارج ، اذ ليس في الخارج إلا معين مقيد ، والمطلق الذي يشترك فيه المعدد لا يكون جزءاً من المعين الذي لا يشركه فيه

والتحقيق ان المطلق بلا شرط أصلاً يدخل فيه المقيد المعين، وأما المطلق بشرط الاطلاق فلا يدخل فيه المعين المقيد، وهذا كما يقول الفقهاء : الماء المطلق، فانه بشرط الاطلاق فلا يدخل فيه المضاف. فإذا قلنا : الماء ينقسم الى ثلاثة أقسام : طهور، وطاهر ونجس ، فالثلاثة أقسام الماء . الطهور هو الماء المطبق الذي لا يدخل ما ليس بطهور كالعصارات والمياه النجسة . فالماء المقسوم هو المطلق لا بشرط، والماء الذي هو قسم المائين هو المطلق بشرط الاطلاق .

لكن هذا الاطلاق والتقييد الذي قاله الفقهاء في اسم الماء إنما هو في الاطلاق والتقييد اللفظي وهو ما دخل في اللفظ المطبق كلفظ ماء ، او في اللفظ المقيد كلفظ ماء نجس ، او ماء ورد .

وأما ما كان كلامنا فيه أولاً فانه الاطلاق والتقييد في معاني اللفظ ، ففرق بين النوعين . فان الناس يعلمون لعدم التفريق بين هذين غلظاً كثيراً جداً ، وذلك ان كل اسم فاما أن يكون مسماة معينة لا يقبل الشركة كأننا وهذا وزيد ، ويقال له المعين والجزء ، واما أن يقبل الشركة فهذا الذي يقبل الشركة هو المعنى الكلي المطلق وله ثلاث اعتبارات كما تقدم

وأما اللفظ المطلق والمقيد فمثال تحرير رقبة ، ولم تجدوا ماء ، وذلك ان المعنى قد يدخل في مطاب اللفظ ، ولا يدخل في اللفظ المطلق ، اي يدخل في اللفظ لا بشرط الاطلاق ، ولا يدخل في اللفظ بشرط الاطلاق ، كما قلنا في لفظ الماء ، وان الماء يقال على المنى وغيره كما قال ( من ماء دافق ) ويقال : ماء الورد ، لكن هذا لا يدخل في الماء عند الاطلاق لكن عند التقييد . فإذا أخذ القدر المشترك بين لفظ الماء المطبق ولفظ الماء المقيد فهو المطلق بلا شرط الاطلاق ، فيقال : الماء ينقسم الى مطلق ومضاف ، ومورد التقسيم ليس له اسم مطلق لكن بالقرينة يقتضي الشمول والعموم ، وهو قولنا الماء ثلاثة أقسام . فهنا أيضاً

أيضاً ثلاثة أشياء : مورد التقسيم وهو الماء العام وهو المطلق بلا شرط ، لكن ليس له لفظ مفرد إلا لفظ مؤلف ، والتقسم المطلق وهو اللفظ بشرط اطلاقه ، والثاني التقييد وهو اللفظ بشرط تقييده

وانما كان كذلك لان المتكلم باللفظ إما أن يطلقه أو يقيده ، ليس له حال ثالثة ، فإذا أطلقه كان له مفهوم وإذا قيده كان له مفهوم ، ثم اذا قيده إما أن يقيده بتقييد العموم أو بتقييد الخصوص . فتقييد العموم كقوله : الماء ثلاثة أقسام ، وتقييد الخصوص كقوله : ماء الورد

وإذا عرف الفرق بين تقييد اللفظ واطلاقه وبين تقييد المعنى واطلاقه عرف ان المعنى له ثلاثة أحوال : إما أن يكون أيضاً مطلقاً أو مقيداً بتقييد العموم ، أو مقيداً بتقييد الخصوص ، والمطلق من المعاني نوعان : مطلق بشرط الاطلاق ، ومطلق لا بشرط ، وكذلك الالفاظ المطلق منها قد يكون مطلقاً بشرط الاطلاق كقولنا الماء المطلق والرقبة المطقة ، وقد يكون مطلقاً لا بشرط لا إطلاق . كقولنا انسان ، فالمطلق المقيد بالاطلاق لا يدخل فيه المقيد بما ينفي الاطلاق ، فلا يدخل ماء الورد في الماء المطلق . وأما المطلق لا بتقييد فيدخل فيه المقيد كما يدخل الانسان الناقص في اسم الانسان

فقد تبين ان المطلق بشرط الاطلاق من المعاني ليس له وجود في الخارج ، فليس في الخارج انسان مطلق ، بل لا بد أن يتعين بهذا أو ذاك . وليس فيه حيوان مطلق ، وليس فيه مطر مطلق بشرط الاطلاق .

وأما المطلق بشرط الاطلاق من الالفاظ كالماء المطلق فساد موجود في الخارج لان شرط الاطلاق هنا في اللفظ فلا يمنع أن يكون معناه معيناً . وبشرط الاطلاق هناك في المعنى ، والمسمى المطلق بشرط الاطلاق لا يتصور إذ لكل موجود حقيقة يتميز بها ، وما لا حقيقة له يتميز بها ليس بشئ ، وإذا كان له

حقيقة يتميز بها فتميزه يمنع أن يكون مطلقاً من كل وجه ، فإن المطلق من كل وجه لا يتميز به ، فليس لنا وجود هو مطلق بشرط الاطلاق ولكن العدم المحض قد يقال هو مطلق بشرط الاطلاق إذ ليس هناك حقيقة تتميز ولا ذات تتحقق حتى يقال تلك الحقيقة تمنع غيرها بحدها أن تكون إياها ، وأما المطلق من المعاني لا بشرط فهذا إذ قيل وجوده في الخارج فأنما يرجد معينا متميزاً مخصوصاً ، والمعين المخصوص يدخل في المطلق لا بشرط ولا يدخل في المطلق بشرط الاطلاق ، إذ المطلق لا بشرط أعم ، ولا يلزم إذا كان المطلق بلا شرط موجوداً في الخارج أن يكون المطلق المشروط بالاطلاق موجوداً في الخارج لان هذا أخص منه ، فإذا قلنا : حيوان ، أو انسان ، أو جسم ، أو وجود مطلق ، فإن عنيانا به المطلق بشرط الاطلاق فلا وجود له في الخارج ، وإن عنيانا المطلق لا بشرط فلا يوجد إلا معينا مخصوصاً ، فليس في الخارج شيء إلا معين متميز منفصل عما سواه بحدده وحقيقته ، فمن قال : ان وجود الحق هو الوجود المطلق دون المعين فحقيقة قوله انه ليس للحق وجود أصلاً ولا ثبوت إلا كالمس الاشياء المعينة المتميزة ، والاشياء المعينة ليست إياه فليس شيئاً أصلاً .

وتلخيص النكتة انه لو عني به المطلق بشرط الاطلاق فلا وجود له في الخارج فلا يكون للحق وجود أصلاً ، وإن عني به المطلق بلا شرط ، فإن قيل بعدم وجوده في الخارج فلا كلام ، وإن قيل بوجوده فلا يوجد إلا معينا فلا يكون للحق وجود إلا وجود الأعيان . فيلزم محذوران (احدهما) انه ليس للحق وجود سوى وجود المخلوقات (والثاني) التناقض وهو قوله انه الوجود المطلق دون المعين . فتدبر قول هذا فانه يجعل الحق في الكائنات بمنزلة الكل في جزئياته وبمنزلة الجنس والنوع والخاصة والفصل في سائر أعيانه الموجودة الثابتة في العدم . وصاحب هذا القول يجعل المظاهر والمراتب في المتعينات كما جعله الاول في الأعيان .

## فصل

وأما التلمساني ونحوه فلا يفرق بين ماهية ووجود ولا بين مطلق ومعين، بل عنده ما ثم سوى، ولا غير بوجه من الوجوه، وإنما الكائنات أجزاء منه وإباضاه بمنزلة أمواج البحر في البحر، وآخر البيت من البيت، فمن شعرهم:

البحر لاشك عندي في توحيده      وإن تعدد بالأمواج والزبد  
فلا يغرنك ما شاهدت من صور      فالواحد الرب ساري العين في العدد  
ومنه:

فإن البحر إلا الموج لاشئ، غيره      وإن فرقته كثرة المتعدد  
ولا ريب أن هذا القول هو أحق في الكفر والزندقة، فإن التمييز بين الوجود والماهية، وجعل المعدوم شيئاً أو التمييز في الخارج بين المطلق والمعين وجعل المطلق شيئاً وراء المعينات في الذهن قولان ضعيفان باطلان، وقد عرف من حدد النظر أن من جعل في هذه الأمور الوجودية في الخارج شيئاً (أحدهما) وجودها (والثاني) ذواتها، أو جعل لها حقيقة مطلقة موجودة زائدة على عينها الموجودة فقد غلط غلطاً قوياً، واشتبه عليه ما يأخذه من العقل من المعاني المجردة المطلقة عن التعمين، ومن الماهيات المجردة عن الوجود الخارجي بما هو موجود في الخارج من ذلك، ولم يدر أن متصورات العقل ومقدراته أوسع مما هو موجود حاصل بذاته، كما تصور المعدومات والامتنعات والمشروطات، وبقدر مالا وجود له ألبتة مما يمكن أو لا يمكن، ويأخذ من المعينات صفات مطلقة فيه. فإن الموجودات ذوات متصورة فيه، لكن هذا القول أشد جهلاً وكفراً بالله تعالى، فإن صاحبه لا يفرق بين المظاهر والظاهر، ولا يجعل الكثرة والتفرقة إلا في ذهن الإنسان لما كان محجوباً عن شهود الحقيقة، فلما انكشف غطاؤه عين أنه لم يكن غير، وإن الرائي عين المرئي والشاهد عين المشهود



## فصل

واعلم ان هذه المقالات لا أعرفها لأحد من أمة قبل هؤلاء على هذا الوجه،  
 ولكن رأيت في بعض كتب الفلاسفة المنقولة عن أرسطو انه حكى عن بعض  
 الفلاسفة قوله: ان الوجود واحد وورد ذلك، وحسبك بمذهب لا يرضاهم تكلمة السابئين  
 وانما حدثت هذه المقالات بحدوث دولة التتار، وانما كان الكفر بالحلول العام  
 أو الاتحاد أو الحلول الخاص. وذلك ان القسمة رباعية لان من جعل الرب هو العبد  
 حقيقة، فاما ان يقول بحلوله فيه أو اتحاده به، وعلى التقديرين فاما أن يجعل ذلك  
 مختصاً ببعض الخلق كالسيح أو يجعله عاماً لجميع الخلق. فهذه أربعة أقسام:  
 (الاول) هو الحلول الخاص وهو قول النسطورية من النصارى ونحوهم ممن يقول:  
 ان اللاهوت حل في الناسوت وتدرع به كحلول الماء في الاناء، وهؤلاء حققوا  
 كفر النصارى بسبب مخالفتهم المسلمين، وكان أولهم في زمن المأمون. وهذا  
 قول من وافق هؤلاء النصارى من غالبية هذه الامة، كغالبية الرافضة الذين يقولون  
 انه حل بعلي بن أبي طالب وائمة أهل بيته، وغالبية النساك الذين يقولون بالحلول في  
 الاولياء ومن يعتقدون فيه الولاية، أو في بعضهم كالحلاج ويونس والحاكم ونحو هؤلاء،  
 (والثاني) هو الاتحاد الخاص وهو قول يعقوبية النصارى وهم أخبث  
 قولاً وهم السودان والقبط، يقولون ان اللاهوت والناسوت اختلطاً وامتزجا  
 كاختلاط اللبن بالماء. وهو قول من وافق هؤلاء من غالبية المنتسبين الى الاسلام  
 (والثالث) هو الحلول العام، وهو القول الذي ذكره أئمة أهل السنة والحديث عن  
 طائفة من الجهمية المتقدمين، وهو قول غالب متعبدة الجهمية الذين يقولون ان الله  
 بذاته في كل مكان ويتمسكون بمثابه القرآن كقوله (وهو الله في السموات وفي  
 الارض) وقوله (وهو معكم) والرد على هؤلاء كثير مشهور في كلام أئمة السنة  
 واهل المعرفة وعلماء الحديث.

(الرابع) الاتحاد العام وهو قول هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون انه عين وجود الكائنات، وهؤلاء أ كفر من اليهود والنصارى من وجهين: من جهة ان أولئك قالوا ان الرب يتحد بعبده الذي قر به واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين، وهؤلاء يقولون ما زال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره (والثاني) من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح وهؤلاء جعلوا ذلك ساريا في الكلاب والخنازير واقذر والاوساخ، واذا كان الله تعالى قال ( لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ) الآية . فكيف بمن قال ان الله هو الكفار والمنافون والصدبان والمجانين والانجاس والانتان وكل شيء؟ واذا كان الله قد رد قول اليهود والنصارى لما قالوا ( نحن أبناء الله وأحباؤه ) وقال لهم ( قل فم يعذبكم بذنوبكم؟ بل أنتم بشر من خلق ) الآية . فكيف بمن يزعم ان اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب الخالق ليسوا غيره ولا سواه؟ ولا يتصور أن يعذب إلا نفسه؟ وأن كل ناطق في الكون فهو عين السامع؟ كما في قواه صلى الله عليه وسلم « ان الله تجاوز لأمتي عما حدثت بها أنفسها » وان الناكح عين المنكوح، حتى قال شاعرهم (١)

واعلم ان هؤلاء لما كان كفرهم في قولهم: ان الله هو مخلوقاته كإيا أعظم من كفر النصارى بقولهم ( ان الله هو المسيح بن مريم ) فكان النصارى ضلال أكثرهم لا يعقلون مذهبهم في التوحيد إذ هو شيء متخيل لا يعلم ولا يعقل، حيث يجعلون الرب جوهرًا واحدًا ثم يجعلونه ثلاثة جواهر، ويتأولون ذلك بتعدد الخواص والاشخاص التي هي الاقانيم، والخواص عندهم ليست جواهر، فيتناقضون مع كفرهم، كذلك هؤلاء الملاحدة الانحادية ضلال أكثرهم لا يعقلون قولهم وسهم ولا يفقهوندهم، وهم في ذلك كالنصارى، كما كان الشيخ أحق واجهل، كان بالله أعرف، وعندهم أعظم، ولهم حظ من عبادة الرب الذي كفروا به كما للنصارى. هذا مادام أحدهم

(١) سقط من الاصل هذا الشعر وقد يعرف مما سبق من أعمارهم

في الحجاب، فاذا ارتفع عن قلبه وعرف انه هو فهو بالخيار بين أن يسقط عن نفسه الامر والنهي ويبقى سدى يفعل ما أحب، وبين أن يقوم بمرتبة الامر والنهي لحفظ المراتب، وليقتدي به الناس المحجوبون، وهم غالب الخلق. ويزعمون ان الانبياء كانوا كذلك اذ عدوهم كاملين.

## فصل

مذهب هؤلاء الاتحادية كابن عربي وابن سبعين والقونوي والتلمساني مركب من ثلاثة مواد: ساب الجهمية وتعاليماهم، ومجملات الصوفية، وهو ما وجد في كلام بعضهم من الكلمات المجملة المتشابهة، كما ضات النصارى بمثل ذلك فيما يروونه عن المسيح فيتبعون المتشابه ويبركون المحكم، وأيضا كلمات المغلوبين على عقولهم الذين تكلموا في حل سكر، ومن الزندقة الفلسفة التي هي أصل التجهم، وكلامهم في الوجود المطابق والعقول والنفوس والوحي والنبوة والوجوب والامكان، وما في ذلك من حق وباطل. فهذه المادة أغلب على ابن سبعين والقونوي، والثانية أغلب على ابن عربي، ولهذا هو أقربهم إلى الاسلام، والكل مشتركون في التجهم. والتلمساني أعظمهم تحقيقا لهذه الزندقة والاتحاد التي انفردوا بها، وأكفرهم بالله وكتبه ورساله وشرائعه واليوم الآخر

وبيان ذلك انه قال: هو في كان متجل بوحدته الذاتية، الما بنفسه وبما يصدر عنه، وأن المعلومات بأسرها كانت منكشفة في حقيقة العلم شاهدا لها. فيقال له: قد اثبت علمه بما يصدر منه وبمعلومات يشهدا غير نفسه، ثم ذكرت أنه عرض نفسه على هذه الحقائق الكونية المشهودة المدومة، فعند ذلك عبر «بأنا» وظهرت حقيقة النبوة التي ظهر فيها الحق واضحا، وانعكس فيها الوجود المطلق، وانه هو المسمى باسم الرحمن كما أن الاول هو المسمى باسم الله، وسقت الكلام.

لي ان قلت : وهو الان على ما عليه كان فهذا الذي علم انه يصدر عنه وكان مشهوداً  
بمعدوما في نفسه هو الحق او غيره ؟ فان كان الحق ؟ فقد لزم ان يكون الرب  
كان معدوما وان يكون صادرا عن نفسه ، ثم انه تناقض . وان كان غيره ، فقد  
جمعت ذلك الغير هو مرآة لانعكاس الوجود المطلق ، وهو الرحمن ، فيكون  
الخالق هو الرحمن ، فأنت حائر بين ان تجعله قد علم معدوما صدر عنه ، فيكون له  
غير وايس هو الرحمن ، وبين ان تجعل هذا الظاهر الوصف هو اياه وهو الرحمن ،  
فلا يكون معدوما ولا صادرا عنه ، واما ان تصف الشيء بخصائص الحق الخالق  
ناره وبخصائص العبد المخلوق تارة ، فهذا مع تناقضه كفر من اغضب الكافر . وهو  
نظير قول النصارى اللاهوت الناسوت . لكن هذا اكفر من وجوه متعددة

## فصل

(الوجه الاول) ان هذه الحقائق الكونية التي ذكرت فيها كانت معدومة في  
نفسها مشهودة اعيانها في علمه في تجايبه المطلق الذي كان فيه متحداً بنفسه بوحده  
الذاتية ، هل خلقها وبرأها وجعلها موجودة بعد عدمها لم تنزل معدومة ؟ فان  
كانت لم تنزل معدومة فيجب ان لا يكون شيء من الكونيات موجوداً ، وهذا مكابرة  
للحس والعقل والشرع ، ولا يقوله عاقل ، ولم يقله عاقل . وان كانت صادرة موجودة  
بعد عدمها امتنع ان تكون هي اياه ، لان الله لم يكن معدوماً فيوجد . وهذا  
يبطل الاتحاد ، ووجب حينئذ ان يكون (١) به موجوداً ليس هو الله ، بل هو خاتمه  
وماليكه وعبيده . وهذا يبطل قولك ! وهو الآن لا شيء ، مع (٢) على ما عليه كان  
(الثاني) ان قولك تركبت الخلقة الالهية من كان الى سرشانه . وقولك : ظهر

(١) كذا في الاصل ولعله : ان يكون ما صار به المعدوم موجوداً الخ

(٢) كذا في الاصل

الحق فيه ، او نحو ذلك من الالفاظ التي يظلمها هؤلاء الاتحادية في هذا الموضوع مثل قولهم : ظهر الحق ، وتجلى ، وهذه مظاهر الحق ومجاليه ، وهذا مظهر الهي ومجلى الهي ، ونحو ذلك . - اتعني به أن عين ذاته حصلت هناك ؟ او تعني به انه صا ظاهراً متجلياً لها بحيث تعلمه ؟ او تعني به أن ظهر لخلقها بها وتجلي بها وان ما تم قسم رابع ؟

فان عنيت الاول - وهو قول الاتحادية - فقد صرحت بان عين المخلوقات حتى الكلاب والخنازير والنجاسات والشياطين والكفار هي ذات الله ، او هي وذات الله متحدتان ، او ذات الله حالة فيها ، وهذا الكفر اعظم من كفر الذين قالوا ( ان الله هو المسيح بن مريم \* وان الله هو ثالث ثلاثة ) وان الله يلد ويولد . وان له بنين وبنات . واذا صرحت بهذا عرف المسلمون قولك فأحقولك ببني جنسك (١) فلا حاجة الى الفاظ مجاملة يحسبها الضمان ماء . وباليته إذا جاءها لم يجدها شيئاً بل يجدها سما ناقعا ،

وان عنيت أنه صار ظاهراً متجلياً لها ، فهذا حقيقة أمر صار معلوماً لها . ولا ريب ان الله يصير معروف لعبيده . لكن كلامك في هذا باطل من وجهين : من جهة ان ذلك جعلته معلوماً للمعدومات التي لا وجود لها لكونه قد علمها ، واعتقدت انها إذا كانت معلومة يجوز أن تصير عالمة ، وهذا عين الباطل : من جهة أنه إذا علم أن الشيء سيكون لم يجز أن يكون هنا . اقبل وجوده عالماً قادراً فاعلا . ومن جهة ان هذا ليس حكماً لجميع الكائنات المعلومة ، بل بعضها هو الذي يصح منه العلم

وأما ان قلت ان الله يعلمها لكونها آيات دالة عليه ، فهذا حق ، وهو دين المسلمين

(١) هذا صرح شيخ الاسلام ان غرضه من هذه الالزامات الباطلة بيان خروجهم بها عن دائرة الاسلام الذي يلبسون بادعائهم اياه على المسلمين بأنهم اوليائه العارفين . وليس غرضه انه ألزمهم ما يلتزمونه ولا يعتقدونه

شهود العارفين ، لكنك لم تقل هذا لوجهين ( احدهما ) انها لا تصير آيات ، الا مد أن يخلقها ويجعلها موجودة ، لاني حال كونها معدومة معلومة ، وانت لم تثبت انه خلقها ولا جعلها موجودة ، ولا أنه أعطى شيئاً خلقه ، بل جعلت نفسه هو هي المتجلية له ( الوجه الثاني ) انك قد صرحت بانه تجلى لها وظهر لها ، لا انه دل بها خلقه . جعلها آيات تكون تبصرة وذكري لكل عبد منيب . والله قد اخبر في كتابه انه يجعل في هذه المصنوعات آيات ، والآية مثل العلامة والدلالة كما قال ( والهكم آه واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . ان قوله . لا آيات لقوم يعقلون ) وتارة يسميها فسها آية كما قال تعالى ( وآية لهم الأرض الميتة احييناها ) وهذا الذي ذكره الله في كتابه هو الحق .

فاذا قيل في نظير ذلك : تجلى بها وظهر بها كما يقال علم وعرف بها ، كان المعنى صحيحا لكن لفظ التجلي والظهور في مثل هذا الموضع غير مأثور . وفيه ايهام واجمال . فان الظهور والتجلي يفهم منه الظهور والتجلي للعين لاسيما لفظ التجلي وان استعماله في التجلي للعين هو الغالب . وهذا مذهب الاتحادية ، صرح به ابن عربي وقال : فلا تقع العين الا عليه (١)

واذا كان عندهم أن المرئي بالعين هو الله فهذا كفر صريح باتفاق المسلمين . بل قد ثبت في صحيح مسلم ان النبي ﷺ قال « واعلموا ان أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت » ولا سيما اذا قيل : ظهر فيها وتجلي ، فان اللفظ يصير مشتركاً بين ان تكون ذاته فيها أو تكون قد صارت بمنزلة المرآة التي يظهر فيها مثال المرئي ، وكلاهما باطل . فان ذات الله ليست في المخلوقات ، ولا في نفس ذاته ترى المخلوقات كما يرى المرئي في المرآة ، ولكن ظهورها دلالاتها عليه وشهادتها له ، وانها آيات له على نفسه وصفاته سبحانه وبحمده ، كما نطق بذلك كتاب الله

(١) بياض في الاصل

( الوجه الثالث ) ان مقارنة الالف والنون المعبر عنها «بأنا» واللفظة التي هي «حقيقة النبوة» و «الروح الاضافي» هذه الاشياء داخلية في مسمى اسمائه الظاهرة والمضمرة ام ليست داخلية في مسمى اسمائه؟ فان كان الاول فتكون جميع المخلوقات داخلية في مسمى اسماء الله، وتكون المخلوقات جزءاً من الله وصفة له، وان كان الثاني فهذه الاشياء معدومة ليس لها وجود في انفسها، فكيف يتصور ان تكون موجودة لا موجودة، ثابتة لا ثابتة، منتفية لا منتفية؟ وهذا القسم بين، وهو أحد ما يكشف حقيقة هذا التلبيس

فان هذه الامور التي كانت معلومة له معدومة عند نزول الخلية ظهرت هذه الامور التي ذكرها، فهذه الامور الظاهرة المعلومة بعد هذا النزول قد صارت «أنا» وحقيقة نبوة، وروحا إضافيا، وفعل ذات، ومفعول ذات، ومعنى وسائط، فان كان جميع ذلك في الله، ففيه كفران عظيمان: كون جميع المخلوقات جزءاً من الله، وكونه متغيراً هذه التغيرات التي هي من نقص الى كمال ومن كمال الى نقص، وان كانت خارجة من ذاته فهذه الاشياء كانت معدومة، ولم يخلقها عندهم خارجة عنه فكيف يكون الحال؟

(الوجه الرابع) ان عنده حقيقة النبوة وما معها إما أن يكون شيئاً قائماً بنفسه، أو صفة له أو لغيره، فان كان قائماً بنفسه فاما ان يكون هو الله أو غيره، فان كان ذلك هو الله فيكون الله هو النقطة الظاهرة، وهو حقيقة النبوة، وهو الروح الاضافي وقد قال بعد هذا: انه جعل الروح الاضافي في صورة فعل ذاته، وانه أعطى محمداً عقدة نبوته، فيكون قد جعل نفسه صورة فعله واعطى محمداً ذاته، وهذا مع انه من أبين الكفر وأقبحه فهو متناقض، فمن المعطي ومن المعطى؟ إذا كان أعطى ذاته لغيره، وإن كانت هذه الاشياء أعياناً قائمة بنفسها وهي غير الله فسواء كانت ملائكة أو غيرها من كل ما سوى الله من الاعيان فهو خلق من خلق الله

مصنوع مر بوب ، والله خالق كل شيء ، فهو قد جعل ظهور الحق وصفا ، وانه المسمى باسم الرحمن ، فيكون المسمى باسم الرحمن الواصف لنفسه مخلوقا ، وهذا كفر صريح وهو أعظم من إلحاد الذين ( قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن؟ ) ومن إلحاد الذين قيل فيهم ( وهم يكفرون بالرحمن ) فان اولئك كفروا باسمه وصفته مع اقرارهم برب العالمين ، وهؤلاء أقروا بالاسم وجعلوا المسمى مخلوقا من مخلوقاته ، واما ان كان المراد بهذه الحقيقة وماعها صفة فاما أن تكون صفة لله أو لغيره ، فان كانت صفة لله لم يجز ان تكون هي المسمى باسم الرحمن ، فان ذلك اسم لنفس الله لا لصفاته ، والسجود لله لا لصفاته ، والدعاء لله لا لصفاته ، وان كانت صفة لغيره فهذا الالزام أعظم وأعظم وهذا تقسيم لا محيص عنه ، فان هذا الملحد في اسماء الله جعل هذه العقدة التي سماها ( عقدة حقيقة النبوة ) وجعلها صورة علم الحق بنفسه ، وجعلها مرآة لانعكاس الوجود المطلق ، محلا لتمييز صفاته القديمة ( ١ ) وان الحق ظهر فيه بصورته وصفته واصفا يصف نفسه ويحيط به ، وهو المسمى باسم الرحمن ، ثم ذكر انه أعطى محمداً هذه العقدة ، ومعلوم أن المسمى باسم الرحمن هو المسمى باسم الله كما قال تعالى ( ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ) فيكون هو سبحانه هذه العقدة التي أعطاها لمحمد ، وان كانت صفة له أو غيره فتكون هي الرحمن ، فهذا الملحد دائر بين أن يكون الرحمن هو خلق من خلق الله أو صفة من صفاته ، وبين أن يكون الرحمن قد وهبه الله لمحمد ، وكل من القسمين من أسمى الكفر وأشنع

( الوجه الخامس ) أن قوله لهذه الحقيقة طرفان : طرف الى الحق المواجه اليها الذي ظهر فيه الوجود الاعلى واصفا ، وطرف الى ظهور العالم منه وهو

( ١ ) قوله محلا لتمييز صفاته القديمة هو المفعول الثاني لجعل



المسمى بالروح الاضافي ، فذكر في هذا الكلام ظهور الوجود وظهور العالم ، وقد تقدم أن الحق كان ولم يبان معه شيء وهو متجلى بنفسه بوحده الذاتية ، وأنه لما نزلت الخلية ظهرت عقدة حقيقة النبوة ، فصارت مرآة لانعكاس الوجود فظهر الحق فيه بصورة وصفة واصفا

وقد ذكر في هذا الكلام الحق المواجه اليها والوجود الاعلى الذي ظهر ، فهذا الحق والطرف الذي لها الى الحق ، فقد ذكر هنا ثلاثة أشياء : الحق ، والوجود ، والطرف ، وقد جعل فيما تقدم الحق هو الوجود المطلق الذي انعكس ، وهو الحق الذي ظهر فيه واصفا ، فتارة يجعل الحق هو الوجود المطلق ، وتارة يجعل الوجود المطلق قد ظهر في هذا الحق ، وهذا تناقض

ثم يقال له : هذان عندك عبارة عن الرب تعالى فقد جعلته ظاهراً وجعلته مظهراً ، فان عنيت بالظهور الوجود فيكون الرب قد وجد مرة بعد مرة ، وهذا كفر شنيع ، فكيف يتصور تكرر وجوده ؟ وكيف يتصور أن يكون قد وجد في نفسه بعد أن لم يكن موجوداً في نفسه ؟ وإن عنيت بالوضوح والتجلي ، وليس (١) هناك مخلوق يظهر له ويتجلى إذ العالم بعد لم يخلق ، وأنت قلت ظهر الحق فيه واصفاً ، وسميته الرحمن ، ولم تجعل ظهوره معلوماً ولا مشهوراً ، فكيف يتصور ان يكون متجلياً لنفسه بعد أن لم يكن متجلياً ؟ فان هذا وصف له بانه لم يكن يعلم نفسه حتى علمها وأيضاً فقد قلت : انه كان متجلياً لنفسه بوحده ، فهذا كفر وتناقض

(الوجه السادس) أن هذا التحير والتناقض مثل تحير النصارى وتناقضهم في الاقانيم . فانهم يقولون : الآب والابن وروح القدس ثلاثة آلهة ، وهي إله واحد . والمتدرع بناسوت المسيح هو الابن ، ويقولون : هي الوجود ، والعلم ، والحياة ، والقدرة ،

(١) لعله فليس

فيقال لهم : إن كانت هذه صفات فليست آلهة ، ولا يتصور أن يكون المتدرع بالمسيح إلهاً إلا أن يكون هو الآب ، وإن كانت جواهر واجب أن لا تكون إلهاً واحداً ، لأن الجواهر الثلاثة لا تكون جوهراً واحداً . وقد يمثلون ذلك بقولنا زيد العالم القادر الحي ، فهو بكونه عالماً ليس هو بكونه قادراً . فإذا قيل لهم هذا كله لا يمنع أن يكون ذاتاً واحدة لها صفات متعددة وانهم لا يقولون ذلك (١)

وأيضاً فالمتحد بالمسيح إذا كان إلهاً امتنع أن يكون صفة ، وإنما يكون هو الموصوف . وأنتم لا تقولون بذلك ، فما هو الحق لا تقولونه وما تقولونه ليس بحق ، وقد قال تعالى ( يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ) فالنصارى حيارى متناقضون ، ان جعلوا الاقنوم صفة امتنع أن يكون المسيح إلهاً ، وإن جعلوه جوهراً امتنع أن يكون إلهاً واحداً ، وهم يريدون أن يجعلوا المسيح الله ويجعلوه ابن الله ، ويجعلوا الآب والابن وروح القدس إلهاً واحداً . ولهذا وصفهم الله في القرآن بالشرك تارة ، وجعلهم قسماً غير المشركين تارة ، لانهم يقولون الامرين وان كانوا متناقضين

وهكذا حال هؤلاء فانهم يريدون أن يقولوا بالاتحاد وانهم ما هم غير ، ويريدون أن يثبتوا وجود العالم ، فجعلوا ثبوت العالم في علمه وهو شاهد له ، وجعلوه متجلبياً لذلك المشهود له ، فإذا تجلبى فيه كان هو المتجلبى لا غيره . وكانت تلك الاعيان المشهودة هي العالم

وهذا الرجل وابن عربي يشتركان في هذا ولكن يفترقان من وجه آخر . فان ابن عربي يقول : وجود الحق ظهر في الاعيان الناقبة في نفسها . فان شئت قلت هو الحق ، وان شئت قلت هو الخلق . وإن شئت قلت هو الحق والخلق ، وان شئت قلت لاحق من كل وجه ولا خلق من كل وجه . وإن شئت قلت

(١) سقط جواب اذا أو تركه للعالم به : وتقديره انقطعوا

بالخيرة في ذلك . واما هذا فانه يقول : تجلى الاعيان المشهودة له ، فقد قالوا في جميع الخلق ما يشبه قول ملكية (١) النصراني في المسيح ، حيث قالوا : بان اللاهوت والناسوت صارا جوهرًا واحدًا له اقنومان . واما النلمساني فانه لا يثبت بعد ذلك بحال فهو مثل يعاقبة النصراني ، وهم أكفرهم ، والنصارى قالوا بذلك في شخص واحد ، وقالوا ان اللاهوت به يتدرع الناسوت بعد أن لم يكن متدرعا به . وهؤلاء قالوا انه في جميع العالم ، وانه لم يزل ، فقالوا بعموم ذلك ولزومه ، والنصارى قالوا بخصوصه وحدوثه ، حتى قال قائلهم : النصراني انما كفروا لانهم خصصوا ، وهذا المعنى قد ذكره ابن عربي في غير موضع من الفصوص ، وذكر ان انكار الانبياء على عباد الاصنام انما كان لاجل التخصيص ، وإلا فالعارف المكمل من عبده في كل مظهر وهو العابد والمعبود ، وان عباد الاصنام لو تركوا عبادتهم لتركوا من الحق بقدر ما تركوا منها ، وان موسى انما انكر على هارون لكون هارون نهاهم عن عبادة العجل اضيق هارون وعلم موسى بانهم ما عبدوا إلا الله ، وان هارون انما لم يسلط على العجل ليعبدوا الله في كل صورة ، وان أعظم مظهر عبد فيه هو الهوى فما عبد أعظم من الهوى . لكن ابن عربي بثبت أعيانا ثابتة في العدم

وهذا ابن حمويه انما أثبتها مشهودة في العلم فقط ، وهذا القول هو الصحيح لكن لا يتم له معه ما ليه من الاتحاد ، ولهذا كان هو أبعدهم عن تحقيق الاتحاد والقرب إلى الاسلام ، وان كان أكثرهم تناقضا وهديانا ، فكثرة الهديان خير من كثرة الكفر . ومقتضى كلامه هذا انه جعل وجوده مشروطا بوجود العالم ، وان كان له وجود ما غير العالم ، كما أن نور العين مشروط بوجود الاجفان وان كان قائما بالحدقة ، فعلى هذا يكون الله مفتقرا إلى العالم محتاجا اليه كاحتياج نور العين إلى الجفنين . وقد قال الله تعالى ( لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير

(١) طائفة من النصراني كاليعاقبة والنسطورية وغيرها

ونحن أغنياء) الى آخر الآية . فاذا كان هذا قوله فيمن وصفه بأنه فقير إلى أموالهم ليعطيهم الفقر ، فكيف قوله فيمن ذاته مفتقرة إلى مخلوقاته ، بحيث لولا مخلوقاته لانتشرت ذاته وتفرقت وغدمت ، كما ينتشر نور العين ويتفرق ويعدم إذا عدم الجنن ؟ وقد قال في كتابه ( إن الله يمسك السموات والارض ان تزولا وائمن زالتا ) الآية . فمن يمسك السموات ؟ وقل في كتابه ( ومن آياته أن تقوم السماء والارض بامرہ ) الآية . وقال ( رفع السموات بغير عمد ترونها ) وقال ( وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم ) لا يؤده لا يشمله ولا يكرثه ، وقد جاء في الحديث حديث أبي داود « ما للسموات والارض وما بينهما في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بارض فلاة ، والكرسي في العرش كذلك الحلقة في الفلاة » وقد قال في كتابه ( وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة ) الآية . وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة وابن عمر وابن مسعود « إن الله يمسك السموات والارض بيده » فمن يكون في قبضته السموات والارض ، وكرسيه قد وسع السموات والارض ، ولا يؤده حفظهما ، وبامرہ تقوم السماء والارض ، وهو الذي يمسكهما ان تزولا ، أيكون محتاجا إليهما مفتقرا إليهما ، اذا زالا تفرق وانتشر؟ واذا كان المسلمون يكفرون من يقول : إن السموات تقله او تظله لما في ذلك من احتياجه إلى مخلوقاته ، فمن قال : انه في استوائه على العرش محتاج إلى العرش كاحتياج المحمول إلى حامله فانه كافر ؟ لان الله غني عن العالمين ، حي قيوم ، هو الغني المطاق وما سواه فقير اليه ، مع أن أصل الاستواء على العرش ثابت بالكتاب والسنة واتفاق سلف الامة وأئمة السنة ، بل هو ثبت في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ، فكيف بمن يقول انه مفتقر إلى السموات والارض ، وانه إذا ارتفعت السموات والارض تفرق وانتشر وعدم ؟ فان حاجته في الحمل إلى العرش أبعد من حاجة ذاته الى ما هو دون العرش

ثم يقال لهؤلاء: إن كنتم تقولون بقديم العالم وانكار انفطار السموات والارض وانشقاقها، وإن كنتم تقولون بحدوثها فكيف كان قبل خلقها؟ هل كان منتشرًا متفرقًا معدومًا، ثم لما خلقها صار موجودًا مجتمعًا؟ هل يقول هذا عاقل؟ فأنتم دائرون بين نوعين من الكفر، مع غاية الجهل والضلال، فاختروا أيهما شئتم: أن صور العالم لا تزال تفتى ويحدث في العالم بدلها مثل الحيوان والنبات والمعادن، ومثل ما يحدثه الله في الجو من السحاب والرعد والبرق والمطر وغير ذلك، فكما عدم شيء من ذلك انتقص من نور الحق ويتفرق ويعدم بقدر ما عدم من ذلك، وكما زاد شيء من ذلك زاد نوره واجتمع ووجد

وأما إن عني أن نور الله باق بعد زوال السموات والارض لكن لا يظهر فيه شيء، - فما الشيء الذي يظهر بعد عدم هذه الأشياء؟ وأي تأثير للسموات والارض في حفظ نور الله، وقد ثبت في الصحيح عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال «ان الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، ينخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور - أو النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه» وقال عبد الله بن مسعود «ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور السموات من نور وجهه» فقد أخبر الصادق المصدوق ان الله لو كشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من السموات والارض وغيرهما، فمن يكون سبحات وجهه تحرق السموات والارض وإنما حجابه هو الذي يمنع هذا الاحراق، أيكون نوره انما يحفظ بالسموات والارض؟

(الوجه السابع) قوله فالعلويات جفتها فوقاني، والسفليات جفتها التحتاني، والتفرقة البشرية في السفليات، أهذاب الجفن فوقاني، والنفس الكلية سوادها، والروح الاعظم بياضها. يقال له: فاذا كان العالم هو هذه العين فالعين الاخرى أي

شيء هي؟ وبقية الاعضاء أين هي؟ هذا لانه قولك إن عنيت بالعين المتعين، وإن عنيت الذات والنفس وهو ما تعين فيه، فقد جعلت نفس السموات والارض والحيوان والملائكة أبعاضاً من الله وأجزاء منه، وهذا قول هؤلاء الزنادقة والفرعونية الاتحادية الذين أتبعهم الله في الدنيا اعتدوا يوم القيامة هم من المقبوحين

فيقال له: فعلى هذا لم يخلق الله شيئاً ولا هو رب العالمين، لانه إما أن يخلق نفسه أو غيره، فخلقه لنفسه محال وهذا معلوم بالبدية ان الشيء لا يخلق نفسه، ولهذا قال تعالى ( أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ) يقول أخلقوا من غير خالق أم هم خلقوا أنفسهم؟ ولهذا قل جبير بن مطعم لما سمعت النبي ﷺ يقرأ هذه الآية أحسست بفؤادي قد انصدع . فقد علموا أن الخلق لا يكون هو المخلوق بالبدية وخلقه لغيره ممتنع على أصلهم لان هذه الاشياء هي أجزاء منه ليست غيراً له ( الوجه الثامن ) انه جعل البشر اهداب جفن حقيقة الله وهم دائماً يزيدون وينقصون ويموتون ويحيون، وفيهم الكافر والمؤمن والفاجر والبر، فتكون اهداب جفن حقيقة الله لا تزال مقرفة كاشرة فاسدة، ويكون المشركون واليهود والنصارى أجفان حقيقة، وقد لعن من جعلهم أبناءه على سبيل الاصطفاء فكيف بمن جعلهم من نفسه ( الوجه التاسع ) انه متناقض من حيث جعل الروح بياضها والنفس الكلية سوادها والسموات الجنن الاعلى والارضون الجفن الاسفل . ومعلوم ان جفني عين الانسان محيطان بالسواد والبياض، والروح والنفس عنده هي فوق السموات والارض ليست بين السماء والارض، كما ان سواد العين وبياضها بين الجنين . فهذا التمثيل مع انه من اقبح الكفر ففيه من الجهالة والتناقض ما تراه

( الوجه العاشر ) ان النفس الكلية اسم تلقاه عن الصابئة الفلاسفة . وأما الروح فان مقصوده بها هو الذي يسمونه العقل وهو اول المصادر . وسماه هو روحاً، وهذا بناه على مذهب الصابئة، وايس هذا من دين الحنفاء، وقد بينا فساد

ذلك في غير هذا الموضع . لكن الصابئة الفلاسفة خير من هؤلاء فانهم يقرون  
 بواجب الوجود الذي صدرت عنه العقول والنفوس والافلاك والارض لا يجعلونها اياه  
 وهؤلاء يجعلونها اياه . فقولهم انما ينطبق على المعطلة مثل فرعون وحزبه الذي قال (ومارب  
 العالمين) وقال (ما علمت لكم من اله غيري) وقال (يا هامان ابن لي صرحا اعلى ابلغ  
 الاسباب اسباب السموات) الآية، فان فرعون يقر بوجود هذا العالم ويقول  
 ما فوقه رب ولا اله خالق غيره . فهؤلاء اذا قالوا انه عين السموات والارض، فقد  
 جحد واما جحد فرعون واقروا بما أقرب فرعون، الا ان فرعون لم يسمه آلهما  
 ولم يقل هو الله . وهؤلاء قالوا هذا هو الله . فهم مقرون بالصانع لكن جعلوه هو  
 الصنعة . فهم في الحقيقة معطلون، وفي اعتقادهم مقرون، وفرعون بالعكس كان  
 منكراً للصانع في الظاهر وكان في الباطن مقراً به . فهو اكفر منهم، وهم اضل  
 منه واجهل . ولهذا يعظمونه جدا

(الوجه الحادي عشر) قول القائل بل هذا هو الحق الصريح التبع، لا ماري  
 المنحرف عن مناهج الاسلام ودينه، المتحير في بيدا ضلالتة وجهله . فيقال: من الذي  
 قال هذا الحق من الاولين والآخرين؟ وهذا كتاب الله من اوله الى آخره الذي هو  
 كلام الله ووحيه وتنزيله ليس فيه شيء من هذا، ولا في حديث واحد عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم ولا عن احد من أئمة الاسلام ومشايخه . الا عن هؤلاء المفترين على الله الذين هم  
 في مشايخ الدين نظير جنكسخان في أمر الحرب، فديانتهم تشبه دولته، ولعل  
 إقراره بالصانع خير من اقرارهم، لكن بعضهم قد يوجب الاسلام فيكون خيراً  
 من التتار من هذا الوجه

وأما محققوهم وجمهورهم فيجوز عندهم اليهود والتنصر والاسلام والاشراك،  
 لا يحرمون شيئاً من ذلك، بل المحقق عندهم لا يحرم عليه شيء ولا يجب عليه شيء،  
 ومعلوم ان التتار الكفار خير من هؤلاء، فان هؤلاء مرتدون عن الاسلام من

أفصح أهل الردة ، والمرتد شر من الكافر الأصلي من وجوه كثيرة ، وإذا كان أبو بكر الصديق (١)

وأما ما حكاه عن الذي سماه الشيخ المحقق العالم الرباني الغوث السابع في الشمعة من انه قل : اعلم ان العالم بمجموعه حذقة عين الله التي لا تنام الخ لكلام عليه من وجوه

(احدها) أن تسمية قائل مثل هذا المقال محققا وعالما وربانيا عين الضلالة والغواية، بل هذا كلام لا تقوله لا اليهود ولا والنصارى ولا عباد الاوثان، فإن كان الذي قاله مسلوب العقل كان حكمه حكم غيره في ان الله رفع عنه القلم، وان كان عاقلا فخرأة على الله الذي يقول ( وقالوا اتخذ الرحمن ولدا \* لقد جئتم شيئا ادا \* تكاد السموات يتفطرن منه ) الى آخر الآيات وقل ( وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون \* لا يسبقونه بالقول - الى قوله - الظالمين ) وقل ( لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح بن مريم - الى قوله - واليه المصير ) فإذا كان هذا قواه فيمن يقول انهم أبناؤه وأحبأؤه، فكيف قواه فيمن يقول إنهم أهداب جفنه؛ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

(الوجه الثاني) أن هذا الشيخ الضال الذي قال هذا الكفر والضلال قد نقض آخر كلامه باوله ، فان لفظ العين مشترك بين الشيء وبين العضو المبصر وبين مسميات آخر، وإذا قل بين الشيء ، فهو من العين التي بمعنى النفس أي تميز بنفسه عن غيره ، فاذا قال إن العالم بمجموعه حذقة عين الله التي لا تنام فالعين هنا بمعنى المبصر . ثم قل في آخر كلامه : ونعني بعين الله ما يتعين الله فيه . فهذا من العين

(١) بياض في الاصل قدر سطر بن لعله ذكر فيه أمثاله المرتدين وما نعي الزكاة من العرب وكون هؤلاء شر منهم لا باحتهم ترك جميع شرائع الاسلام



بمعنى النفس ، وهذه العين ليس لها حدقة ولا أجفان ، وإنما هذا بمنزلة من قال نبعت  
العين وفاضت وشربنا منها واغتسلنا ، ووزنتها في الميزان فوجدتها عشرة مثاقيل  
وزهرها خالص ، وسبب هذا أنه كثيراً ما كان يتصرف في حروف بلا معان

(الوجه الثالث) انه تناقض من وجه آخر فانه إذا كان العالم هو حدقه العين  
فينبغي أن يكون قد بقي من الله بقية الاعضاء غير العين ، فاذا قل في آخر كلامه: والله  
هو نور العين، كان الله جزءاً من العين أو صفة له ، فقد جعل في أول كلامه العالم  
جزءاً من الله، وفي آخر كلامه جعل الله جزءاً من العالم، وكل من القولين كفر، بل  
هذا أعظم من كفر الذين ذكرهم الله بقوله ( وجعلوا له من عباده جزءاً ان الانسان  
لكفور مبين \* أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنيين ) فاذا كان الله كفر من جعل  
له من عباده جزءاً فكيف من جعل عباده تارة جزءاً منه وتارة جعله هو جزءاً منهم؟  
فاعن الله ازباب هذه المقالات وانتصر لنفسه وكتبه ورسوله ولعباده المؤمنين منهم

(الوجه الرابع) انه تناقض من جهة أخرى، فانه إذا قال العين: ما يتعين الله فيه،  
والعالم كله حدقة عينه التي لا تنام، فقد جعله متعيناً في جميع العالم ، فاذا قال بعدها  
وهو نور العين، بقيت سائر أجزاء العين من الاجفان والاهداب والسواد والبياض  
لم يتعين فيها، فقد جعله متعيناً فيها غير متعين فيها

(الوجه الخامس) ان نور العين مفتقر الى العين محتاج اليها لقيامه بها ،  
فاذا كان الله في العالم كالنور في العين وجب أن يكون محتاجاً إلى العالم  
واعلم ان هذا القول يشبه قول الحلوية الذين يقولون هو في العالم كالماء في  
الصوفة وكالحياة في الجسم ونحو ذلك، ويقولون هو بذاته في كل مكان ، وهذا  
قول قدماء الجهمية الذين كفرهم أئمة الاسلام . وحكى عن الجهم انه كان يقول  
هو مثل هذا الهواء ، أو قال هو هذا الهواء

وقوله اولاً : هو حدقة عين الله ، يشبه قول الاتحادية بان الاتحادية يقولون

هو مثل الشمعة التي تتصور في صور مختلفة وهي واحدة، فهو عندهم الوجود، واختلاف احواله كاختلاف احوال الشمعة، ولهذا كان صاحب هذه المقالات متخبطاً لا يستقر عند المسامين الموحدين المخلصين، ولا هو عندهؤلاء الملاحدة الأتحادية من محققهم العارفين. فان هؤلاء، كلهم من جنس النصيرية والاسماعيلية، مقالات هؤلاء في الرب من جنس مقالات أولئك، وأولئك فيهم التمسك بالشرعية وفيهم المتخلي عنها، وهؤلاء كذلك، لكن أولئك أحذق في الزندقة، وهم يعلمون انهم معطلون مثل فرعون، وهؤلاء جهال يحسبون انهم يحسنون صنعا

(الوجه السادس) قوله من العلويات والسفليات لو ارتفعت لا نبسط نور الله تعالى بحيث لا يظهر فيه شيء أصلاً. وهذا كلام مجمل، ولا ريب ان قائل هذه المقالة من المذبذبين بين الكافرين والمؤمنين، لاهو من المؤمنين ولا من الأتحادية المحضة، لكنه قد لبس الحق بالباطل، وذلك ان الأتحادية يقولون ان عين السموات والارض لو زالت لعدم الله، واللفظ يصرح به بعضهم، واما غالبهم فيشيرون اليه إشارة وعوامهم لا يفهمون هذا من مذهب الباقيين فان هؤلاء من جنس القرامطة والباطنية، وأولئك انما يصل الى البلاغ الاكبر الذي هو آخر المراتب خواصهم. ولهذا حدثني بعض أكابر هؤلاء الأتحادية عن صاحب هذه المقالة انه كان يقول ليس بين التوحيد والاحاد الفرق لطيف. فقلت له: هذا من أبطل الباطل، بل ليس بين مذهبين من الفرق أعظم مما بين التوحيد والاحاد. وهذا قائله بناء على هذا الخلط واللبس الذي خلطه، مثل قوله ان العلويات والسفليات لو ارتفعت لا نبسط نور الله بحيث لا يظهر فيه شيء

فيقال له: إذا ارتفعت العلويات والسفليات فماتعني بانبساطه؟ اتعني تفرقه وعدمه كما يتفرق نور العين عند عدم الاجفان؟ أم تعني انه ينبسط شيء موجود؟

وما الذي ينبسط حينئذ؟ هو نفس الله أم صفة من صفاته؟ وعلى أي شيء ينبسط؟ وما الذي يظهر فيه أولا يظهر؟

فان عنيت الاول وهو مقتضى اول كلامك، لانك قلت: وإنما قلنا ان العلويات والسفليات اجفان عين الله لانهما يحافظان على ظهور النور، فلو قطعت اجفان عين الانسان لتفرق نور عينه وانتشر بحيث لا يرى شيئا أصلا، فكذلك العلويات والسفليات لو ارتفعت لا ينبسط نور الله بحيث لا يظهر فيه شيء أصلا.

وقد قلت: ان الله هو نور العين والروح الاعظم بياضها والنفس السكينة سوادها. ومعلوم ان نور العين على ما ذكرته بشرط وجوده هو الاجفان، فاذا ارتفع الشرط ارتفع المشروط، فيكون العالم عندك شرطا في وجود الله، فاذا ارتفع العالم ارتفعت حقيقة الله لانتقاء شرطه، وان اثبت له ذاتا غير العالم فهذا أحد قولي الانتحائية، فانهم تارة يجعلون وجود الحق هو عين وجود المخلوقات ليس غيرها، وعلى هذا فلا يتصور وجوده مع عدم المخلوقات، وهذا تعطيل محض للصانع، وهو قول القونوي والتناساني، وهو قول صاحب الفصوص في كثير من كلامه، وتارة يجعلونه وجودا قائما بنفسه، ثم يجعلون نفس ذلك الوجود هو أيضا وجود المخلوقات بمعنى انه فاض عليها. وهذا أقل كفرا من الاول، وان كان كلاهما من اغلظ الكفر وأقبحه. وفي كلام صاحب الفصوص وغيره في بعض المواضع ما يوافق هذا القول. وكذلك كلام هذا فانه قد يشير الى هذا المعنى

ثم مع ذلك هل يجعلون وجوده مشروطا بوجود العالم فيكون محتاجا الى العالم أولا يجعلون؟ قد يقولون هذا وقد يقولون هذا

(السابع) انهم يمدحون الضلال والخير والظلم والخطا والعذاب الذي عذب الله به الامم، ويقابون كلام الله وكلام رسوله قلبا يعلم فساده بضرورات العقول، مثل قول صاحب الفصوص: لو ان نوحا جمع لقومه بين الدعوتين لاجابوه، فدعاهم جبارا، ثم دعاهم

سرارا - الى أن قال : وذكروا عن قومه أنهم تصاموا عن دعوته ، لعلمهم بما يجب عليهم من اجابة دعوته ، فعلم العلماء بالله ما أشار اليه نوح في حق قومه من الشاء عليهم بلسان الذم ، وعلم أنهم انما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان ، والامر قرآن لافرقان ومن أقيم في القرآن لا يصغي الى الفرقان وان كان فيه .

فيمدحون ويحمدون ماذمه الله ولعنه ونهى عنه ، ويأتون من الافك والفرية على الله والاحاد في اسماء الله وآياته بما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا \* كقول صاحب الفصوص في فص نوح :

(مما خطيئاتهم أغرقوا) فهي التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وهو الخيرة ( فدخلوا ناراً ) في عين الماء في المحمدتين ، ( فاذا البحار سجرت - سجرت التنور اذا أوقدته ) فلم يمدوا لهم من دون الله انصارا ) فكان الله عين انصارهم ، فهلكوا فيه الى الابد ، فلو اخرجتهم الى السيف سيف الطبيعة لنزلوا عن هذه الدرجة الرفيعة ، وان كان الكل لله وبالله بل هو الله ( قال نوح رب لا تدرك على الارض من الكافرين ) الذين استغشوا ثيابهم وجعلوا أصابعهم في آذانهم ، طلبا للستر لانه دعاهم ليغفر لهم ، والغفر الستر (ديارا ) أحدا حتى تعم المنفعة كما عمت الدعوة ( إنك إن تذرهم ) أي تدعهم وتتركهم ( يضلوا عبادك ) أي يحبروهم ويخرجوهم من العبودية ، إلى ما فيهم من سرار الربوبية ، فينظروا انفسهم أربابا ، بعد ما كانوا عند انفسهم عبيداً ، فهم العبيد الارباب ( ولا يلدوا ) أي ما ينتجون ولا يظهرون ( الا فاجراً ) أي مظهر ماستر ( كفارا ) أي ساترا مظهر بعد ظهوره ، فينظرون ماسترهم ثم يسترون بعد ظهوره . فيحار الناظر ، ولا يعرف قصد الفاجر في فجوره ولا الكافر في كفره ، والشخص واحد ( رب اغفر لي ) أي استرني واستر مراحمي ، فيجهل مقامي وقدري كما جهل قدرك في قولك « وما قدروا لله حق قدره » ( ولو الادي ) أي من كنت تنتجه عنهما وهما العقل والطبيعة ( ولمن دخل بيتي ) أي قلبي ( مؤمنا ) مصدقا بما يكون فيه من الاخبار الالهية وهو ما

حدثت به أنفسها (وللمؤمنين) من العقول (والمؤمنات) من النفوس (ولا تزد الظالمين من الظلمات أهل العنت المكتنفين داخل الحجب الظلمانية (الاتبارا) أي هلاكاً، فإن يعرفون نفوسهم، لشهودهم وجه الحق دونهم . اهـ

وهذا كماه من أقبح تبديل كلام الله وتحريفه ، ولقد ذم الله أهل الكتاب في القرآن على ما هو دون هذا ، فإنه ذمهم على أنهم حرفوا الكلم عن مواضع وانهم ( يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ) وهؤلاء قد حرفوا كلام الله عن مواضعه أقبح تحريف ، وكتبوا كتب انفاق والاحاد بأيديهم وزعموا أنهم من عند الله ، تارة يزعمون أنهم يأخذون من حيث يأخذ الملك الذي يوحى إلى النبي ، فيكون فوق النبي بدرجة ، وتارة يزعمون أنهم يأخذون من حيث يأخذ الله ، فيكون أحدهم في عمله بنفسه بمنزلة علم الله به ، لان الاخذ من معدن واحد وتارة يزعم أحدهم أن النبي ﷺ أعطاه في منامه هذا النفاق العظيم ، والآخر البليغ ، وأمره ان يخرج به إلى أمته وانه أبرزه كما حدث له رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ، وكان جماعة من الفضلاء - حتى بعض من خاطبني فيه وانتصر له يرى أنه كان يستحل الكذب ، ويختارون أن يقلل كان يتعمد الكذب ، وان ذلك هو أهون من الكفر ، ثم صبر حوا بان مقالته كفر . وكان ممن يشهد عليه بتعمد الكذب غير واحد من عقلاء الناس وفضلائهم من المشايخ والعلماء

ومعلوم ان هذا من أبلغ الكذب على الله ورسوله وانه من أحق الناس بقوله (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب أو قال أوحى الي ولم يوح اليه شيء ) وكذا من المتنبئين الكذابين كالمختار بن أبي عبيد وأمثاله لم يبلغ كذبهم واقترأؤهم إلى هذا الحد بل مسيامة الكذاب لم يبلغ كذبه واقترأؤه إلى هذا الحد ، وهؤلاء كلهم كان يعرض النبي ﷺ ويقر له بالرسالة ، لكن كان يدعي انه رسول آخر ، ولا ينكر وجود الرسول

لا ينكر القرآن في الظاهر، وهؤلاء جحدوا الرب واشركوا به كل شيء، وافتروا هذه الكتب التي قد يزعمون انها أعظم من القرآن، ويفضلون نفوسهم على النبي ﷺ من بعض الوجوه، كما قد صرح به صاحب الفصوص عن خاتم الاولياء وحدثني الثقة عن الفاجر التمساني انه كان يقول: القرآن كله شرك ليس فيه وحيد وإنما التوحيد في كلامنا

وأما الضلال والخيرة فما مدح الله ذلك قط ولا قال النبي ﷺ « زدني فيك حيراً » ولم يرو هذا الحديث أحد من أهل العلم بالحديث، ولا هو في شيء من كتب الحديث، ولا في شيء من كتب من يعلم الحديث، بل ولا من يعرف الله رسوله، وكذلك احتججه بقوله ( كلما اضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ) إنما هذا حال المنافقين المرتدين، فان الضلال والخيرة مما ذمه الله في القرآن، قال الله تعالى في القرآن ( قل اذدعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا ما إذا هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران ) الآية

وهكذا يريد هؤلاء الضالون المتحIRON أن يفعلوا بالمؤمنين، يريدون أن دعوا من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم، وهي المخلوقات والوثان والاصنام كل ما عبد من دون الله، ويريدون أن يردوا المؤمنين على أعقابهم، يردونهم عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، ويصيروا حائرين ضالين كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى: ائتنا قال تعالى ( ونقلب أفئدتهم وأبصارهم - إلى قوله - يعمهمون ) أي يحارون ويترددون قال تعالى ( إهدنا الصراط المستقيم \* صراط الذين انعمت عليهم \* غير المغضوب عليهم ولا الضالين ) فامر بان نسأله هداية الصراط المستقيم صراط الذين انعم عليهم المغايرين المغضوب عليهم وللضالين. وهؤلاء يذمون الصراط المستقيم ويمدحون طريق أهل الضلال والخيرة، مخالفة لكتب الله ورسله، ولما فطر الله عليه عباده من العقول والالباب

## فصل

﴿ في ذكر بعض ألفاظ ابن عربي التي تبين ما ذكرنا من مذهبه، فإن أكثر الناس قد لا يفهمونه ﴾

قال في فص يوسف — بعد أن جعل العالم بالنسبة إلى الله كظل الشخص وتناقض في التشبيه: فكل ماتدركه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات، فمن حيث هوية الحق هو وجوده، ومن حيث اختلاف الصور فيه هو أعيان الممكنات فكما لا يزول عنه باختلاف الصور اسم الظل، كذلك لا يزول عنه باختلاف الصور اسم العالم أو اسم سوى الحق، فمن حيث أحدية كونه ظلاً هو الحق، لأنه الواحد الأحد، ومن حيث كثرة الصور هو العالم، فنفظن وتحقق ما أوضحناه لك. وإن كان الأمر على ما ذكرته لك فالعالم متوهم ماله وجود حقيقي، وهذا معنى الخيال أي خيل لك أنه أمر زائد قائم بنفسه خارج عن الوجود الحق، وليس كذلك نفس الأمر. لا تراه في الحس متصلاً بالشخص الذي امتد عنه يستحيل عن الانفكاك عن ذلك الاتصال، لأنه يستحيل على الشيء الانفكاك عن ذاته فأعرف عينك ومن أنت وما هويتك؟ وما نسبتك إلى الحق وبما أنت حق وأنتم عالم وسوى وغير؟ وما شا كل هذه الألفاظ

وقال في أول الفصوص بعد (فص حكمة آلهية في كلمة آدمية) وهو (فص حكمة نفسية، في كلمة شيثية) وقد قسم العطاء بأمر الله وإنما يكون عن سؤال وعن سؤال وذكر القسم الذي لا إنسان<sup>(١)</sup> لأن شيئاً هو هبة الله — إلى أن قال: «ومن هؤلاء من يعلم أن علم الله به في جميع أحواله هو ما كان عليه في حال ثبوتهم»

(١) كذا في الأصل وهو محرف أو سقط منه شيء والكلام في نصه هذا يقتضي أن المراد أول إنسان حصل له العلم بالنفث الملكي في الروح هو وهو علة تسميته. والشيخ أشار إلى مقدمة هذا الفص إشارة مجملة لأن غرضه ما به

عينه قبل وجودها ويعلم ان الحق لا يعطيه إلا ما أعطاه عينه من العلم به ، وهو ما كان عليه في حال ثبوته ، فيعلم علم الله به من أين حصل ، وما تم صنف من اهل الله أعلا وأكشف من هذا الصنف ، فهم الواقفون على سر القدر ، وهم على قسمين : منهم من يعلم ذلك مجملاً ، ومنهم من يعلم ذلك مفصلاً ، والذي يعلمه مفصلاً أعلا وأنتم من الذي يعلمه مجملاً ، فانه يعلم ما تعين في علم الله فيه ، إما باعلام اللدائيه بما أعطاه عينه من العلم به ، وإما بأن يكشف له عن عينه الثابتة وعن انتقالات الاحوال عليها إلى ما لا يتناهى ، وهو أعلا ، فانه يكون في علمه بنفسه بمنزلة علم الله به ، لان الأخذ من معدن واحد ، الا انه من جهة العبد عناية من الله سبقت له هي من جملة أحوال عينه يعرفها صاحب هذا الكشف إذا أطلعه الله على ذلك ( اي على احوال عينه ) فانه ليس في وسع المخلوق اذا أطلعه الله على احوال عينه اثباته التي تقع صورة الوجود عليها ان يطلع في هذه الحال على اطلاع الحق على هذه الاعيان الثابتة في حال عدمها ، لانها نسب ذاتية لا صورة لها ، فهذا القدر نقول : ان العناية الالهية سبقت لهذا العبد بهذه المساواة في إفادتها العلم ، ومن هنا يقول ( الله حتى نعلم ) وهي كلمة محققة المعنى ، ماهي كما يتوهم من ليس له هذا المشرب ، وغاية المنزه ان يجعل ذلك الحدوث في العلم للتعلم ، وهو أعلا وجه يكون للمتكلم يعقله في هذه المسئلة ، لولا انه أثبت العلم زائداً على الذات فجعل يتعلق له بالذات ، وبهذا انفصل عن المحقق من اهل الله صاحب الكشف والوجود .

ثم نرجع الى الاعطيات فنقول : إن الاعطيات إما ذاتية أو اسمائية ، فأما المنح والهبات والعطايا الذاتية فلا تكون ابداً الا عن تجلي إلهي ، والتجلي من الذات لا يكون ابداً الا بصورة استعداد العبد المتجلي له ، وغير ذلك لا يكون ، فاذن المتجلي له ما رأى سوى صورته في مرآة الحق وما رأى الحق ولا يمكن ان يراه مع علمه انه ما رأى صورته إلا فيه ، كالمراة في الشاهد إذا رأيت الصور فيها لا تراها مع علمك أنك ما رأيت الصور أو صورتك إلا فيها ، فأبرز الله ذلك مثالا نصبه لتجليه



الذاتي، ليعلم المتجلى له انه مارآه، وما ثم مثال اقرب ولا أشبه بالرؤية والتجلي من هذا، واجهد في نفسك عند ماترى الصورة في المرآة ان ترى جرم المرآة لا تراها ابداً ألبتة، حتى ان بعض من أدرك مثل هذا في صور المرئي ذهب الى ان الصورة المرئية بين بصر الراي وبين المرآة، هذا اعظم ما قدر عليه من العلم، والامر كما قلناه وذهبنا اليه . وقد بينا هذا في الفتوحات المكية ، واذا ذقت هذا ذقت الغاية التي ليس فوقها غاية في حق المخلوق، فلا تطمع ولا تتعب نفسك في ان ترقى أعلا من هذا الدرج فما هو ثم اصلا وما بعده الا العدم المحض، فهو مرآتك في رؤيتك نفسك ، وأنت مرآته في رؤيته اسماءه وظهور أحكامها ، وليست سوى عينه فاختلط الامر وانبهم ، فمننا من جهل في علمه فقال \* والعجز عن درك الادراك ادراك \* (١) ومنا من علم فلم يقل مثل هذا القول وهو أعلا القول ، بل اعطاه العلم السكوت ما اعطاه العجز ، وهذا هو اعلا عالم بالله .

وليس هذا العلم الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء ، وما يراه احد من الانبياء والرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم، ولا يراه أحد من الاولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم، حتى ان الرسل لا يرونه متى رأوه إلا من مشكاة خاتم الاولياء ، فان الرسالة والنبوة - أعني نبوة التشريع ورسالته - ينقطعان، والولاية لا تنقطع أبداً . والمرسلون من حيث كونهم اولياء لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الاولياء ، فكيف من دونهم من الاولياء ، وإن كان خاتم الاولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع ، فذلك لا يقدر في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا اليه، فانه من وجه يكون أنزل، كما انه من وجه يكون أعلا . وقد ظهر في ظاهر شرعنا ما يؤيد ما ذهبنا اليه في فضل عمر في أسارى بدر بالحكم فيهم ، وفي

(١) هذا للقول منسوب الى الصديق الاكبر أبي بكر (رض) وابن عربي يفضل نفسه عليه في العلم بالله كما ترى بعده وبدعى انه مساو لرسول الله ﷺ بل يفضل نفسه عليه من بعض الجهات

بيان مافي هذا الفص من الكفر بالالوهية والربوبية والازراء بالرسالة ١٠٥

تأبير النخل . فما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل شيء ، وفي كل مرتبة .  
وانما نظر الرجال الى التقدم في مرتبة العلم بالله ، هنالك مطلبهم ، وأما حوادث  
الاكوان فلا تعلق لخواطرم بها ، فتحتمق ما ذكرناه

« ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن وقد كل سوى موضع لبنة فكان  
النبي ﷺ تلك اللبنة ، غير انه ﷺ لا يراها الا كقال لبنة واحدة . وأما خاتم  
الاولياء فلا بد له من هذه الرؤية ما مثل به رسول الله ﷺ فيرى في الحائط  
موضع لبنتين واللبن من ذهب وفضة فيرى اللبنتين اللتين ينقص الحائط عنهما  
ويكمل بهما لبنة ذهب ولبنة فضة ، فلا بد من أن يري نفسه تنطبع في موضع تينك  
اللبنتين فيكون خاتم الاولاء تينك للبتين ، ليكمل الحائط

« والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين انه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر ،  
وهو موضع اللبنة الفضة وهو ظاهره وما ينبعه فيه من الاحكام ، كما هو آخذ عن  
الله تعالى في السر ما هو بانصورة الظاهرة متبع فيه ، لانه رأى الامر على ما هو  
عليه ، فلا بد أن يراه هكذا وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن ، فانه آخذ من  
المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسول .

« فان فهمت ما أشرت به فقد حصل لك العلم النافع فكل نبي من لدن آدم الى  
آخر نبي ما منهم أحد يأخذ الا من مشكاة خاتم النبيين وان تأخر وجود طينته ،  
فانه بحقيقته موجود ، وهو قوله ﷺ « كنت نبيا و آدم بين الماء والطين » وغيره  
من الانبياء ما كان نبيا الا حين بعث . وكذلك خاتم الاولياء كان وايا و آدم بين  
الماء والطين ، وغيره من الاولياء ما كان وايا الا بعد تحصيله شرائط الولاية من الاخلاق  
الالهية والاتصاف بها من اجل كون الله يسمي بالولي الحميد

« فخاتم الرسل من حيث ولايته نسبه مع الختم للولاية مثل نسبة الانبياء والرسل

معها ، وانه الولي الرسول النبي . وخاتم الاولياء الولي الوارث الآخذ عن الاصل  
المشاهد المراتب وهو حسنة من حسنات خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ، مقدم الجماعة ، وسيد  
ولد آدم في فتح باب الشفاعة . فعين بشفاعته حالا خاصا ما عم . وفي هذه الحال  
الخاص تقدم على الاسماء الالهية . فان الرحمن ماشفح عند المتقم في أهل البلا. الا بعد  
شفاعة الشافعين ، ففاز محمد بالسيادة في هذا المقام الخاص

« فمن فهم المراتب والمقامات لم يعسر عايه قبول مثل هذا الكلام » اه

\*

فهذا الفص قد ذكر فيه حقيقة مذهبه التي يبني عليها سائر كلامه فتدبر ما فيه  
من الكفر الذي ( تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا )  
وما فيه من جحد خلق الله وامرء ، وجحود ربوبيته وألوهيته وشمته وسبه ، وما فيه  
من الازراء برسله وصديقيه والتقدم عليهم بالدعاوي الكاذبة ، التي ليس عليها  
حجة ، بل هي معلومة الفساد بادنى عقل وإيمان ، وأيسر ما يسمع من كتاب وقرآن ، وجعل  
الكفار والمنافقين والفراعة هم أهل الله ومحاصته أهل الكشوف وذلك باطل من وجوه  
( إحداهما ) انه أثبت له عينا ثابتة قبل وجوده ولسائر الموجودات وإن ذلك  
ثابت له ولسائر أحواله وكل ما كان موجودا من الاعيان والصفات والجواهر  
والاعراض فعينه ثابتة قبل وجوده . وهذا ضلال قد سبق اليه كما تقدم

( الثاني ) انه جعل علم الله بالعبد انما حصل له من علمه بتلك العين اثباتة في العدم  
التي هي حقيقة العبد ، لا من نفسه المقدسة ، وأن علمه بالاعيان الثابتة في العدم  
واحوالها تمنعه أن يفعل غير ذلك ، وأن هذا هو سر اقدر . فتضمن هذا وصف الله  
تعالى بالفقر الى الاعيان وغناها عنه ، ونفى ما استحقه بنفسه من كل علمه وقدرته ،  
ولزوم التجهيل والتعجيز ، وبعض ما في هذا الكلام المضاهاة لما ذكره الله عن  
قال ( لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن اغنياء ) الآية ، فانه جعل  
حقائق الاعيان الثابتة في العدم غنية عن الله في حقائقها وأعيانها ، وجعل الرب

حفتقرا اليه في علمه بها، فما استفاد علمه بها الا منها، كما يستفيد العبد العلم بالمحسوسات من إدراكه لها، مع غنى تلك المدركات عن المدرك . والمسلمون يعلمون ان الله عالم بالاشياء قبل كونها بعلمه القديم الازلي الذي هو من لوازم نفسه المقدسة لم يستفد علمه بها منها ( ألا يعلم من خاق وهو اللطيف الخبير ) فقد دلت هذه الآية على وجوب علمه بالاشياء من وجوه انتظمت البراهين المذكورة لاهل النظر والاستدلال القياسي العقلي من أهل الكلام والفلسفة وغيرهم

( أحدها ) انه خالق لها واخلق هو الابداع بتقدير، وذلك يتضمن تقديرها

في العلم قبل كونها في الخارج

( الثاني ) أن ذلك مستلزم للارادة والمشيئة، والارادة مستلزمة لتصور المراد

والشعور به ، وهذه الطريقة المشهورة عند أكثر أهل الكلام

( الثالث ) انها صادرة عنه وهو سببها التام والعلم باصل الامر وسببه

يوجب العلم بالفرع المسبب. فعلمه بنفسه مستلزم العلم بكل ما يصد عنه

( الرابع ) انه في نفسه لطيف يدرك الدقيق ، خبير يدرك الخفي، وهذا هو

مقتضى العلم بالاشياء ، فيجب وجود المقتضى لوجود السبب التام ، فهو في علمه

بالاشياء مستغن بنفسه عنها كما هو غني بنفسه في جميع صفاته. ثم إذا رأى الاشياء

بعد وجودها وسمع كلام عباده ونحو ذلك فأنما يدرك ما أبداع وما خلق وما هو

مفتقر اليه ومحتاج من جميع وجوهه، لم يحتاج في علمه وإدراكه الى غيره البتة. فلا

يجوز اقول بان علمه بالاشياء استفاده من نفس الاشياء الثابتة الغنية في ثبوتها عنه

وأما جحود قدرته فلانه جعل الرب لا يقدر الا على تجليه في تلك الاعيان

الثابتة في عدم الغنية عنه، فقد رته محدودة بها مقصورة عاها مع غناها عنه وثبوت

حقاتها بدونه. وهذا عنده هو السر الذي اعجز الله أن يقدر على غير ما خلق، فلا

يقدر عنده على أن يزيد في العالم ذرة ولا ينقص منه ذرة ، ولا يزيد في المطر قطرة

ولا ينقص منه قطرة، ولا يزيد في طول الانسان ولا ينقص منه ، ولا يغير شيئاً من صفاته ولا حركاته ولا سكناته، ولا ينقل حجراً عن مقره، ولا يحول ماء عن ممره، ولا يهدي ضالاً ولا يضل مهتدياً، ولا يحرك ساكناً ولا يسكن متحركاً . ففي الجملة لا يقدر الا على ما وجد، لان ما وجد فعينه ثابتة في العدم ولا يقدر على اكثر من ظهره في تلك الاعيان

وهذا التجلي والتعجز الذي ذكره وزعم انه هوسر القدر وإن كان قد تضمن بعض ما قاله غيره من الضلال ففيه من الكفر ما لا يرضاه غيره من الضالين . فان القائلين بان المعدوم شيء يقولون ذلك في كل ممكن كان أو لم يكن ، ولا يجعلون علمه بالاشياء مستفاداً من الاشياء قبل أن يكون وجودها ، ولا خلقه وقدرته مقصورة على ما علمه منها، فانه يعلم انواعاً من الممكنات لم يخلقها . فمعلومه من الممكنات أوسع مما خلقه ، ولا يجعلون المانع من أن يخلق غير ما خلق هو كون الاعيان الثابتة في العدم لا تقبل سوى هذا الوجود، بل يمكن عندهم وجودها على صفة أخرى، هي أيضاً من الممكن الثابت في العدم فلا يفضي قولهم لا الى تجهيل ولا إلى تعجز من هذا الوجه . وإنما قد يقولون المانع من ذلك أن هذا هو أكمل الوجود وأصلحها، فعلمه بانه لا أكمل من هذا يمنع أن يريد ما ليس أكمل بحكمته فيجعلون المانع أمراً يعود إلى نفسه المقدسة حتى لا يجعلونه ممنوعاً من غيره، فإين من لا يجعل له مانعاً من غيره ولا راداً لقضائه ممن يجعله ممنوعاً مصدوداً؟ وأين من يجعله عالماً بنفسه ممن يجعله مستفيداً للعالم من غيره؟ وممن هو عني عنه؟ هذا مع أن اكثر الناس انكروا على من قل: ليس في الامكان أبدع من هذا العالم

(الثالث) انه زعم ان من الصنف الذي جعله اعلا اهل الله من يكون في علمه بمنزلة علم الله، لان الاخذ من معدن واحد اذا كشف له عن أحوال الاعيان الثابتة في العدم فيعلمها من حيث علمها الله، الا انه من جهة العبد عناية من الله سبقت له

هي من جملة احوال عينه يعرفها صاحب هذا الكشف اذا اطامه الله على ذلك فجعل علمه وعلم الله من معدن واحد

(الرابع) انه جعل الله عالماً بها بعد ان لم يكن عالماً واتبع المتشابه الذي هو قوله: (حتى يعلم) وزعم انها كلمة محققة المعنى بناء على أصله الفاسد أن وجود العبد هو عين وجود الرب، فكل مخلوق علم ما لم يكن علمه فهو الله علم ما لم يكن علمه . وهذا ما سبقه اليه كافر، فان غاية المكذب بقدر الله ان يقول ان الله علم ما لم يكن عالماً، اما انه يجعل كل ما تجدد لمخلوق من العلم فانما تجدد لله ، وأن الله لم يكن عالماً بما علمه كل مخلوق حتى علمه ذلك المخلوق

(الخامس) انه زعم ان التجلي الذاتي بصورة استعداد المتجلي والمتجلي له مارأي سوى صورته في مرآة الحق، وانه لا يمكن أن يرى الحق مع علمه بانه مارأي صورته إلا فيه، وضرب المثل بالمرآة فجعل الحق هو المرآة والصورة في المرآة هي صورته وهذا تحقيق ما ذكرته من مذهبه : أن وجود الاعيان عنده وجود الحق ، والاعيان كانت ثابتة في العدم ، فظهر فيها وجود الحق بالمتجلي له . والعبد لا يرى الوجود مجرداً عن الذوات، ما يرى إلا الذوات التي ظهر فيها الوجود. فلا سبيل له إلى رؤية الوجود أبداً . وهذا عنده هو الغاية التي ليس فوقها غاية في حق المخلوق وما بعده إلا العدم المحض ، فهو مرآتك في رؤيتك نفسك وأنت مرآته في رؤيته اسماءه وظهور أحكامها . وذلك لان العبد لا يرى نفسه التي هي عينه إلا في وجود الحق الذي هو وجوده ، والعبد مرآته في رؤيته اسماءه وظهور أحكامها، لان اسماء الحق عنده هي النسب والاضافات التي بين الاعيان وبين وجود الحق ، وأحكام الاسماء هي الاعيان الثابتة في العدم، وظهور هذه الاحكام بتجلي الحق في الاعيان، والاعيان التي هي حقيقة العيان هي مرآة الحق التي بها يرى اسماءه وظهور أحكامها ، فانه إذا ظهر في الاعيان حصلت النسبة التي بين

الوجود والاعيان وهي الاسماء ، وظهرت أحكامها وهي الاعيان ، ووجود هذه الاعيان هو الحق ، فلهذا قال وليست سوى عينه ، فاختلط الامر وانبهم . فتدبر هذا من كلامه وما يناسبه لتعلم ما يعتقده من ذات الحق واسمائه ، وان ذات الحق عنده هي نفس وجود المخلوقات ، واسمائه هي النسب التي بين الوجود والاعيان ، وأحكامها هي الاعيان . لتعلم كيف اشتمل كلامه على الجحود لله ولاسمائه واصفاته وخلقه وأمره ، وعلى الالحاد في أسماء الله وآياته ، فان هذا الذي ذكره غاية الالحاد في أسماء الله وآياته والآيات المخلوقة والآيات المتلوة ، فانه لم يثبت له اسما ولا آية ، إذ ليس إلا وجوداً واحداً وذلك ليس هو اسما ولا آية ، والاعيان اثابتة ليست هي اسماءه ولا آياته ، ولما اثبت شيئين فرق بينهما الوجود والاثبوت وليس بينهما فرق اختلط الامر عليه وانبهم .

وهذا حقيقة قوله وسر مذهبه الذي يدعى انه به أعلم العالم بالله ، وأنه تقدم بذلك على الصديق الذي جهل فقال : العجز عن الادراك إدراك ، وتقدم به على المرسلين الذين علموا ذلك من مشكاته<sup>(١)</sup> وفيه من أنواع الكفر والضلال ما يطول عدها (منها) الكفر بذات الله إذ ليس عنده إلا وجود المخلوق (ومنها) الكفر باسماء الله وأنها ليست عنده إلا أمور عديمه فاذا قلنا الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم فليس الرب عنده إلا نسبة إلى<sup>(٢)</sup>

(السادس) انه قال واختلط الامر وانبهم ، او هو على أصله الفاسد مختلط منبهم

(١) لانه يدعي أنه هو ختم الولاية ، وان ختم الولاية أعلى من خاتم النبوة في الباطن ، وان كان يتبعه في الظاهر ، الخ ما تقدم ، وغايته انه بلغ من غروره بما حذقه من الثرة بخلط النظريات الفلسفية بالخيالات الصوفية ان حاول اقناع قراء فصوصه بانه رب العالمين من حيث انه أكمل مظهر للاخلق الذي هو عين الحق ، وما الرب عنده إلا نسبة اضافية بين ما يسمى حقا وما يسمى خلقا وهما في نفس الامر بشي واحد

(٢) بياض في الاصل يعلم ما سقط منه مما تقدم

وعلى أصل أهل الهدى والايان متميز متبين، قد بين الله بكتابه الحق من الباطل والهدى من الضلال.

قل : فمننا من جهل علمه فنال العجز عن درك الادراك . وهذا الكلام مشهور عندهم لنسبته إلى أبي بكر الصديق ، فجعله جاهلا وإن كان هذا اللفظ لم ينقل عن أبي بكر ولا هو ماثور عنه في شيء من النقول المعتمدة، وإنما ذكر ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر نحواً من ذلك عن بعض التابعين غير مسمى، وإنما يرسل ارسالا من جهة من يكتر الخطأ في مراسلهم، كما يحكون عن عمر أنه قال : كان النبي ﷺ وأبو بكر إذا تخاطبا كنت كالزنجي بينهما». وهذا أيضا كذب باتفاق أهل المعرفة ، وإنما الذي في الصحيح عن أبي سعيد الخدري قال خطبنا رسول ﷺ على المنبر « فقال ان عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار ذلك العبد ما عند الله » فبكى أبو بكر، فقال : بل نفديك بانفسنا وأموالنا ، أو كما قال، فجعل الناس يقولون : عجباً لهذا الشيخ يبكي ان ذكر رسول الله ﷺ عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة. فكان رسول الله ﷺ هو المخير وكان أبو بكر هو أعلمنا به . وكان أبو بكر هو أعلمهم بمراد رسول الله ﷺ ومقاصده في كلامه . وإن كانوا كلهم مشتركين في فهمه .

وهذا كما في الصحيح أنه قيل لعلي عليه السلام : هل ترك عندكم رسول الله ﷺ شيئاً؟ وفي لفظ : هل عهد اليكم رسول الله ﷺ شيئاً لم يهبده إلى الناس؟ فقال « لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، الا فهماً يؤتبه الله عبداً في كتابه ، وما في هذه الصحيفة (١) وبهذا ونحوه من الاحاديث الصحيحة استدل العلماء على أن ما يذكر عن علي وأهل البيت من أنهم إختصوا بعلم خصهم به النبي ﷺ دون

(١) هي صحيفة علقها في سيفه كتب فيها عن النبي ﷺ أحكام الدية وفكك الاسير وتحرير المدينة



غيرهم كذب عليهم ، مثل ما يذكر منه الجفر والبطاقة والجدول ، وغير ذلك وما يآثره القرامطة الباطنية عنهم ، فانه قد كذب على جعفر الصادق رضي الله عنه ما لم يكذب على غيره . وكذلك كذب على علي عليه السلام وغيره من أئمة أهل البيت رضي الله عنهم ، كما قد بين هذا وبسط في غير هذا الموضع

وهكذا يكذب قوم من النساك ومدعي الحقائق على أبي بكر وغيره وأن النبي ﷺ كان يخاطبه بحقائق لا يفهمها عمر مع حضوره . ثم قد يدعون أنهم عرفوها وتكون حقيقتها زندقة والحادا . وكثير من هؤلاء الزنادقة والجهال قد يحتج على ذلك بحديث أبي هريرة « حفظت عن رسول الله ﷺ جرابين اما احدهما فبثته فيكم . واما الآخر فلو بثته لقطعتم هذا الحلقوم » وهذا الحديث صحيح ، لكن الجراب الآخر لم يكن فيه شيء من علم الدين ومعرفة الله وتوحيده الذي يختص به أوليائه ، ولم يكن أبو هريرة من أكابر الصحابة الذين يخلصون بمثل ذلك لو كان هذا مما يخص به ، بل كان في ذلك الجراب أحاديث الفتن التي تكون بين المسلمين ، فان النبي ﷺ أخبرهم بما سيكون من الفتن بين المسلمين ، وعن الملاحم التي تكون بينهم وبين الكفار . ولهذا لما كان مقتل عثمان وفتنة ابن الزبير ونحو ذلك قال ابن عمر : لو أخبركم أبو هريرة انكم تقتلون خليفتم وتهدمون البيت (١) وغير ذلك لقلتم : كذب أبو هريرة ، فكان أبو هريرة يمتنع من التحديث بأحاديث الفتن قبل وقوعها لان ذلك مما لا يحتمله رؤس الناس وعوامهم . وكذلك يحتجون بحديث حذيفة بن اليمان وانه صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ، وحديث حذيفة معروف ، لكن السر الذي لا يعلمه غيره هو معرفته بأعيان المنافقين الذين كانوا في غزوة تبوك . ويقال : انهم كانوا هموا

(١) بل قال أبو هريرة نفسه لو قلت لكم انكم ستحرقون بيت ربكم وتقتلون ابن نبيكم لقلتم لا أكذب من أبي هريرة . وقد كان قتل الحسين عليه السلام بعد موت أبي هريرة وانما كان يخاف قطع حلقومه من بني أمية

بالفتنك بالنبي ﷺ فأوحى إلى النبي ﷺ أمرهم ، فأخبر حذيفة بأعيانهم . ولهذا كان عمر لا يصلي إلا على من صلى عليه حذيفة ، لأن الصلاة على المنافقين منهي عنها وقد ثبت في الصحيح عن حذيفة انه لما ذكر الفتن وانه أعلم الناس بهايين ان النبي ﷺ لم يخصصه بمحدثها ولكن حدث الناس كلهم ، قال « وكان أعلمنا احفظنا » وما يبين هذا أن في السنن ان النبي ﷺ كان عام الفتح قد اهدر دم جماعة : منهم عبد الله بن أبي سرح ، فجاء به عثمان إلى النبي ﷺ ليبايعه ، فتوقف عنه النبي ﷺ ساعة ، ثم بايعه وقال « أما كان فيكم رجل رشيد ينظر إلي وقد أمسكت عن هذا فيضرب عنقه » فقال رجل من الانصار . يا رسول الله ، هلا أومأت إلي؟ فقال « ما ينبغي لني ان تكون له خائنة الاعين » فهذا ونحوه مما يبين ان النبي ﷺ يستوي ظاهره وباطنه ، لا يظهر للناس خلاف ما يبطنه ، كما تدعيه الزنادقة من المتفلسفة والقرامطة وضلال المتنسكة ونحوهم

(السابع) انه « قال ومنا من علم فلم يقل مثل هذا ، وهو أعلى القول ، بل أعطاه العلم والسكوت ما أعطاه العجز . وهذا هو أعلا عالم بالله . وليس هذا العلم إلا خاتم الرسل وخاتم الاولياء ، وما يراه أحد من الاولياء والرسال الا من مشكاة الرسول الخاتم ، ولا يراه أحد من الاولياء الا من مشكاة الولي الخاتم . حتى إن الرسل لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الاولياء . فان الرسالة والنبوة أعني نبوة التشريع ورسالته ينقطعان ، والولاية لا تنقطع ابداً . فالمرسلون من كونهم اولياء لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الاولياء فكيف من دونهم من الاولياء؟ وإن كان خاتم الاولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدر في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا اليه ، فانه من وجه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون أعلا - الى قوله - ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن

ففي هذا الكلام من أنواع الالحاد والكفر وتنقيص الانبياء والرسل ما لا تقوله  
 لا اليهود ولا النصارى . وما شبهه في هذا الكلام بما ذكر في قول القائل : فخر عليهم  
 السقف من تحتهم ان هذا لا عقل ولا قرآن . وكذلك ما ذكره هنا من أن الانبياء والرسل  
 تستفيد من خاتم الاولياء الذي بعدهم هو مخالف للعقل فان التقدم لا يستفيد من المتأخر .  
 ومخالف للشرع ، فانه معلوم بالاضطرار من دين الاسلام أن الانبياء والرسل  
 أفضل من الاولياء الذين ليسوا أنبياء ولا رسلا . وقد يزعم ان هذا العلم الذي هو  
 عنده أعلى العلم وهو القول بوحدة الوجود ، وان وجود الخالق هو وجود المخلوق  
 وهو تعطيل الصانع حقيقة وجحده ، وهو القول الذي يظهره فرعون . فلم يكفه زعمه  
 ان هذا حق ، حتى زعم انه أعلا العلم ، ولم يكفه ذلك حتى زعم ان الرسل إنما  
 يرونه من مشكاة خاتم الاولياء . فجعل خاتم الاولياء أعلم بالله من جميع الانبياء  
 والرسل ، وجعلهم يرون العلم بالله من مشكاته

ثم أخذ يبين ذلك فقال : فان الرسالة والنبوة اعنى نبوة التشريع ورسالته ينقطعان  
 والولاية لا تنقطع ابداً . فالمرسلون ممن كونهم اولياء لا يرون ما ذكرناه الا من  
 مشكاة خاتم الاولياء ، وذلك انه لم يمكنهم أن يجملوا بعد النبي صلوات الله وسلامه عليه ورسولا  
 فان هذا كفر ظاهر ، فزعموا انه إنما تنقطع نبوة التشريع ورسالته ، يعنى وأما نبوة  
 التحقيق ورسالة التحقيق وهي الولاية عندهم فلم تنقطع ، وهذه الولاية عندهم هي  
 أفضل من النبوة والرسالة ، ولهذا قال ابن عربي في بعض كلامه :

مقام النبوة في برزخ فوق الرسول ودون الولي  
 وقال في الفصوص في (كلمة عزيرية) « فاذا سمعت أحداً من أهل الله تعالى يقول أو  
 ينقل اليك عنه انه قال الولاية أعلى من النبوة فليس يريد ذلك القائل إلا ما ذكرناه ،  
 أو يقول : إن الولي فوق النبي والرسول فانه يعنى بذلك في شخص واحد ، وهو أن  
 الرسول عليه السلام من حيث هو ولي أم منه من حيث هو نبي ورسول ، لأن

الولي التابع له أعلا منه ، فان التابع لا يدرك المتبوع أبداً فيما هو تابع له فيه (١) إذ لو أدركه لم يكن تابعا له . وإذ احوق قوا على ذلك قالوا : ان ولاية النبي فوق نبوته وإن نبوته فوق رسالته ، لانه يأخذ بولايته عن الله ، ثم يعملون مثل ولايته ثابتة لهم ، ويعملون ولاية خاتم الاولياء أعظم من ولايته ، وأن ولاية الرسول تابعة لولاية خاتم الاولياء الذي ادعوه»

وفي هذا الكلام أنواع قد بينها في غير هذا الموضع ( منها ) أن دعوى المدعي وجود خاتم الاولياء على ما ادعوه باطل لا أصل له ، ولم يذكر هذا أحد من المعروفين قبل هؤلاء إلا أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم في كتاب (ختم الولاية) وقد ذكر في هذا الكتاب ما هو خطأ وغلط مخالف للكتاب والسنة والاجماع وهو رحمه الله تعالى وإن كان فيه فضل ومعرفة ومن الكلام الحسن التبول والحنائق النافعة أشياء محودة في كلامه من الخطأ ما يجب رده ومن أشعرها ما ذكره في ختم الولاية ، مثل دعواه فيه انه يكون في المتأخرين من درجته عند الله أعظم من درجة أبي بكر وعمر وغيرهما . ثم انه تناقض في موضع آخر لما حكى عن بعض الناس ان الولي يكون منفرداً عن الناس ، فباطل ذلك واحتج بآبي بكر وعمر وقال يلزم هذا أن يكون أفضل من آبي بكر وعمر ، وأبطل ذلك (ومنها) انه ذكر في كتابه ما يشعر ان ترك الاعمال الظاهرة ولو أنها التطوعات المشروعة أفضل في حق الكامل ذي الاعمال القلبية وهذا أيضا خطأ عند أئمة الطريق ، فان أكمل الخلق رسول الله ﷺ وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وما زال محافظاً على ما

(١) - امش الاصل ما نصه : قوله فيما هو تابع له فيه ، كانه يريد ما يزعم من انه تابع للنبي ﷺ في الشرع الظاهر . وأما الباطن فلا ، لانه يزعم ان خاتم الانبياء وجميع الانبياء والرسل يأخذون من مشكاته ، فهو عند نفسه أعلى منهم في ذلك . قبحه الله . انتهى من خط الشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى رحمه الله

يمكنه من الايراد والتطوعات البدنيه الى مماته (ومنها) ما ادعاه من خاتم الاولياء الذي يكون في آخر الزمان وتفضيله وتقدمه على من تقدم من الاولياء ، وانه يكون معهم كخاتم الانبياء مع الانبياء . وهذا ضلال واضح . فان أفضل اولياء الله من هذه الامة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وامثالهم من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار، كما ثبت ذلك بالنصوص المشهورة . وخير القرون قرنه صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الصحيح « خير القرون القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وفي الترمذي وغيره أنه قال في ابي بكر وعمر « هذان سبدا كهول أهل الجنة من الاولين والآخريين إلا النبيين والمرسلين » قال الترمذي حديث حسن وفي صحيح البخاري عن علي عليه السلام انه قال له ابنه يا أبت ، من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا بني ابو بكر » قال : ثم من ؟ قال « ثم عمر » وروى بضع وثمانون نفسا عنه انه قال « خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر »

وهذا باب واسع وقد قال تعالى ( فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ) وهذه الاربعة هي مراتب العباد: أفضلهم الانبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون. وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يفضل أحدنا نفسه على يونس ابن متى مع قوله ( ولا تكن كصاحب الحوت ) وقوله ( وهو ملجم ) تنبيها على ان غيره أولى أن لا يفضل أحد نفسه عليه. ففي صحيح البخاري عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تقولن أحدكم ابي خير من يونس بن متى » وفي صحيح البخاري أيضا عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ينبغي لعبد أن يكون خيرا من يونس بن متى » وفي لفظ « أن يقول أنا خير من يونس بن متى » وفي البخاري أيضا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب » وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال - يعني رسول الله « لا ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى » وفي الصحيحين عن ابن عباس

عن النبي ﷺ - وفي لفظ : فيما يرويه عن ربه «لا ينبغي لعبد أن يقول انا خير من يونس بن متى» وهذا فيه نهى عام

وأما ما يرويه بعض الناس «لا تفضلوني على يونس بن متى» ويفسره باستواء حال صاحب المعراج وصاحب الحوت فنقل باطل وتفسير باطل . وقد قال النبي ﷺ «اثبت حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» وأبو بكر أفضل الصديقين ولفظ خانم الاولياء لا يوجد في كلام أحد من سلف الامة ولا أئمتها ولا له ذكر في كتاب الله ولا سنة رسوله. وموجب هذا اللفظ انه آخر مؤمن تقي، فان الله يقول (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) الآية (١) فكل من كان مؤمنا «تقيا» كان لله ولياً، وهم على درجتين: السابقون المقربون وأصحاب اليمين المقتصدون، كما قسمهم الله تعالى في سورة فاطر، وسورة الواقعة، والانسان، والمطففين

وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة عن النبي ﷺ انه قال «يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به. ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وكره مساءته ولا بدله منه» فالمتقربون إلى الله بالفرائض هم الابرار المقتصدون أصحاب اليمين، والمتقربون اليه بالنوافل التي يحبها بعد الفرائض هم السابقون المقربون، وإنما تكون النوافل بعد الفرائض . وقد قال أبو بكر الصديق في وصيته لعمر بن الخطاب «اعلم ان لله عليك حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وحقاً بالنهار لا يقبله بالليل، وانها لا تقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة

والانحادية يزعمون ان قرب النوافل يوجب أن يكون عين الحق عين أعضائه، وأن

(١) يعني الآية التي بعد هذه المفسرة للاولياء بالمؤمنين المتقين

قرب القرائن يوجب ان يكون الحق عين وجوده كله. وهذا فاسد من وجوه كثيرة، بل كفر صريح كما بيناه في غير هذا الموضع. واذا كان خاتم الاولياء آخر مؤمن تقي في الدنيا فليس ذلك الرجل أفضل الاولياء ولا أكملهم بل أفضلهم وأكملهم سابقوهم الذين هم أحسن بأفضل الرسل من غيرهم، فانه كما كان الولي أعظم اختصاصا بالرسول وأخذاً عنه وموافقة له كان أفضل، اذ الولي لا يكون وإياً لله الا بمتابعة الرسول باطناً وظاهراً. فعلى قدر المتابعة للرسول يكون قدر الولاية لله

والاولياء وان كان فيهم محدث كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال «انه كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي فعمير» فهذا الحديث يدل على أن أول المحدثين من هذه الامة عمر وأبو بكر أفضل منه، اذ هو الصديق والمحدث وان كان يلهم ومحدث من جهة الله تعالى فعليه أن يعرض ذلك على الكتاب والسنة فانه ليس بمعصوم كما قال أبو الحسن الشاذلي: قد ضمنت لنا العصمة فيما جاء به الكتاب والسنة ولم تضمن لنا العصمة في الكشوف والالهام. ولهذا كان عمر بن الخطاب وقفاً عند كتاب الله وكان أبو بكر الصديق يبين أشياء تخالف ما يقع له كما بين له يوم الحديبية وبوم موت النبي ﷺ. ويوم قتال مانعي الزكاة وغير ذلك، وكان عمر بن الخطاب يشاور الصحابة فتارة يرجع اليهم وتارة يرجعون اليه وربما قال القول وترد عليه امرأة من المسلمين قوله وتبين له الحق فيرجع اليها وبدع قوله كما قدر الصداق، وربما يرى رأياً فيذكر له حديث عن النبي ﷺ فيعمل به ويدع رأيه وكان يأخذ بعض السنة عن هو دونه في قضايا متعددة، وكان يقول القول فيقال له: أصبت فيقول: ما يدري عمر أصاب الحق أم أخطاه. فاذا كان هذا امام المحدثين، فكل ذي قلب يحدته قلبه عن ربه الى يوم القيامة هو دون عمر فليس فيهم معصوم بل الخطأ يجوز عليهم كلهم وان كان طائفة تدعي أن الولي محفوظ وهو نظير ما ثبت للانبياء من العصمة، والحكيم الترمذي قد أشار إلى هذا فهذا

باطل مخالف للسنة والاجماع ، ولهذا اتفق المسلمون على أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ وان كانوا متفاضلين في الهدى والنور والاصابة، ولهذا كان الصديق أفضل من المحدث ، لان الصديق يأخذ من مشكاة النبوة فلا يأخذ إلا شيئاً معصوماً محفوظاً ، واما المحدث فيقع له صواب وخطأ ، والكتاب والسنة تميز صوابه من خطئه . وبهذا صار جميع الاولياء مفتقرين إلى الكتاب والسنة ، لا بد لهم أن يزنوا بجميع امورهم بآثار الرسول ، فما وافق آثار الرسول فهو الحق وما خالف ذلك فهو باطل وان كانوا مجتهدين فيه والله تعالى يشيهم على اجتهادهم ويغفر لهم خطاهم .

ومعلوم ان السابقين الاولين اعظم اهتداء واتباعاً لآثار النبوية فهم اعظم ايماناً وتقوى . وأما آخر الاولياء فلا يحصل له مثل ما حصل لهم .

والحديث الذي يروى « مثل أمي كمثل الغيث لا يدرى أوله خير أو آخره » قد تكلم في إسناده ، وبتقدير صحته انما معناه بما في آخر الامة من يقارب أولها (١) حتى يشبهه على بعض الناس أيها خير كما يشبهه على بعض الناس طرفاً الثوب ، مع القطع بأن الاول خير من الآخر ولهذا قال « لا يدرى » ومعلوم أن هذا السلب ليس عاملاً فانها لا بد أن يكون معلوماً أيهما أفضل .

ثم ان هذا خاتم الاولياء صار مرتبة موهومة لاحقيقة له وصار يدعيها لنفسه أو لشيخه طوائف ، وقد ادعاها غير واحد ولم يدعها إلا من في كلامه من الباطل مالم تقه اليهود ولا النصارى ، كما ادعاها صاحب الفصوص ، وتابعه صاحب الكلام في

(١) فيه معنى آخر ، وهو ان هذا الخير في المناخر نسبي وهو ان القليل منه يعد كثيراً بالنسبة الى فساد زمنه . ويدل عليه أحاديث : منها انه عندما يجاهر الناس بالزنا في الطرق يقول قائلهم : ما ضر هذين لو استترا وراء هذا الجدار - وهو يعد كآبي بكر وعمر فيكم



الحروف ، وشيخ من أتباعهم كان بدمشق ، و آخر كان يزعم انه المهدي الذي يزوج بنته بعيسى بن مريم ، وانه خاتم الاولياء . ويدعي هؤلاء وأمثالهم من الامور ما لا يصلح الا لله وحده ، كما قد يدعي المدعي منهم لنفسه أو لشيخهما ادعته النصراني في المسيح

ثم صاحب الفصوص وأمثاله بنوا الامر على أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة ، والنبى يأخذ بواسطة الملك ، فهذا صار خاتم الاولياء أفضل عندهم من هذه الجهة ، وهذا باطل وكذب ، فان الولي لا يأخذ عن الله إلا بواسطة الرسول اليه ، وإذا كان محدثا قد ألقى اليه شيء وجب عليه أن يزنه بما جاء به الرسول من الكتاب والسنة ،

وتكليم الله لعباده على ثلاثة أوجه : من وراء حجاب كما كلم موسى ، وبارسال رسول كما أرسل الملائكة الى الانبياء ، وبالايحاء ، وهذا فيه للولي نصيب ، وأما المرتبتان الاوليان فانهما للانبياء خاصة ، والاولياء الذين قامت عليهم الحجة بالرسول لا يأخذون علم الدين إلا بتوسط رسل الله اليهم ، ولو لم يكن الا عرضه على ما جاء به الرسول (١) ولن يصلوا في أخذهم عن الله الى مرتبة نبي أو رسول ، فكيف يكونون آخذين عن الله بلا واسطة ويكون هذا الاخذ أعلى وهم لا يصلون الى مقام تكليم موسى ولا الى مقام نزول الملائكة عليهم كما نزلت على الانبياء ، وهذا دين المسلمين واليهود والنصارى

وأما هؤلاء الجهمية الاتحادية فبنوا على اصلهم الفاسد : ان الله هو الوجود المطلق الثابت لكل موجود ، وصار ما يقع في قلوبهم من الخواطر - وان كانت

(١) كذا وامل جواب لو سقط من النسخ أو حذف للعلم به . وفيه ابرم يترفون بهذا الاخذ لاحكام التشريع اظاهرة دون الحقائق الباطنة التي يدعونها ويطلقونها على فاسفتهم وخيالاتهم الباطلة

من وساوس الشيطان - يزعمون انهم أخذوا ذلك عن الله بلا واسطة ، وانهم يكلمون كما كلم موسى بن عمران ، وفيهم من يزعمون ان حالهم أفضل من حال موسى ابن عمران ، لان موسى سمع الخطاب من الشجرة وهم على زعمهم يسمعون الخطاب من حي ناطق كما يذكر عن صاحب الفصوص انه قال :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نشره ونظامه

وأعانهم على ذلك ما اعتقدوه من مذاهب الجهمية وأتباعهم الذين يزعمون أن تكليم الله لموسى إنما كان من جنس الالهام ، وان العبد قد يرى الله في الدنيا اذا زال عن عينه المانع اذا لا حجاب عندهم الرؤية منفصل عن العبد ، وانما الحجاب متصل به ، فاذا ارتفع شاهد الحق ، وهم لا يشاهدون الا ما يمثّلونه من الوجود المطلق الذي لا حقيقة له الا في أذهانهم ، ومن الوجود المخلوق . فيكون الرب المشهود عندهم الذي يخاطبهم في زعمهم لا وجود له الا في أذهانهم او لا وجود له الا وجود المخلوقات . هذا هو التعطيل للرب تعالى وكتبه ورساله ، والبدع دهليز الكفر والنفاق ، كما ان التشيع دهليز الرفض ، والرفض دهليز القرمطة والتعطيل . فالكلام الذي فيه تجهيم دهليز الزندقة والتعطيل . وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت » ولهذا اتفق سلف الامة وأئمتها على أن الله يُرى في الآخرة ، وانه لا يراه أحد في الدنيا بعينه . وفي رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه كلام معروف لعائشة وابن عباس ، فعائشة أنكرت الرؤية ، وابن عباس ثبت عنه في صحيح مسلم انه قال : رأى محمداً ربه بفؤاده مرتين . وكذلك ذكر أحمد عن أبي ذر وغيره انه أثبت رؤيته بفؤاده وهذا المنصوص عن ابن عباس وأبي ذر وغيرهما هو المنصوص عن أحمد وغيره من أئمة السنة ، ولم يثبت عن أحد منهم إثبات الرؤية بالعين في الدنيا ، كما لم يثبت عن أحد منهم انكار الرؤية في الآخرة ، ولكن كلا القولين تقول به طوائف من الجهمية ، فلنفي بقول بهمتكامة الجهمية ،

والاثبات يقول به بعض متصوفة الجهمية كالاتحادية وطائفة من غيرهم، وهؤلاء الاتحادية يجمعون بين النبي والاثبات، كما يقول ابن سبعين: عين ما ترى ذات لا ترى، وذات لا ترى عين ما ترى. ونحو ذلك، لان مذهبهم مستلزم الجمع بين النقيضين، فهم يقولون في عموم الكائنات ما قالته النصارى في المسيح، ولهذا تنوعوا في ذلك تنوع النصارى في المسيح

ومن الانواع التي في دعواهم ان خاتم الاولياء افضل من خاتم الانبياء من بعض الوجوه، فان هذا لم يقله أبو عبد الله الحكيم الترمذي ولا غيره من المشايخ المعروفين، بل الرجل اجل قدراً وأعظم ايماناً من ان يفتري هذا الكفر الصريح، ولكن اخطأ شبراً، ففرعوا على خطئه ما صار كفرًا.

وأعظم من ذلك زعمه ان الاولياء والرسل من حيث ولايتهم تابعون لخاتم الاولياء وأخذوا من مشكاته، فهذا باطل بالعقل والدين، فان المتقدم لا يأخذ من المتأخر، والرسل لا يأخذون من غيرهم. وأعظم من ذلك انه جعلهم تابعين له في العلم بالله الذي هو أشرف علومهم، وأظهر من ذلك انه جعل العلم بالله هو مذهب أهل وحدة الوجود القائلين بان وجود المخلوق هو عين وجود الخالق

فليتدبر المؤمن هذا الكفر القبيح درجة بعد درجة. واستشهاده على تفضيل غير النبي عليه بقصة عمر وتابير النخل، فهل يقول مسلم ان عمر كان أفضل من النبي ﷺ برأيه في الاسرى؟ وان الفلاحين الذين يحسنون صناعة التابير أفضل من الانبياء في ذلك؟ ثم ما قنع بذلك حتى قال: فما يلزم الكامل ان يكون له التقديم في كل علم وكل مرتبة، وانما نظر الرجال الى التقدم في مرتبة العلم بالله، هنالك مطلبهم —

فقد زعم انه أعلم بالله من خاتم الانبياء، وان تقدمه عليه بالعلم بالله، وتقدم خاتم الانبياء عليه بالتشريع فقط. وهذا من أعظم الكفر الذي يقع فيه غالبية المتفلسفة

وإغالية المتصوفة وإغالية المتكلمة الذين يزعمون أنهم في الأمور العلمية أكمل من الرسل، كالعالم بالله ونحو ذلك، وإن الرسل إنما تقدموا عليهم بالتشريع العام الذي جعل لصالح الناس في دنياهم. وقد يقولون إن الشرائع قوانين عدلية وضعت لمصلحة الدنيا، فأما المعارف والحقائق والدرجات العالية في الدنيا والآخرة فيفضلون فيها أنفسهم وطرقهم على الأنبياء وطرق الأنبياء

وقد علم بالاضطرار من دين المسلمين أن هذا من أعظم الكفر والضلال، وكان من سبب جحد حقائق ما أخبرت به الرسل من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر وزعمهم أن ما يقوله هؤلاء في هذا الباب هو الحق وصاروا في أخبار الرسل، تارة يكذبونها، وتارة يحرفونها، وتارة يفوضونها، وتارة يزعمون أن الرسل كذبوا لمصلحة العموم. ثم عامة الذين يقولون هذه المقالات يفضلون الأنبياء والرسل على أنفسهم إلا الغالية منهم كما تقدم، فهؤلاء من شر الناس قولاً واعتقاداً

وقد كان عندهم شيخ من أجهل الناس كان يعظمه طائفة من الأعاجم ويقال إنه خاتم الأواميا، يزعم أنه يفسر العلم بوجهين، وإن النبي ﷺ إنما فسره بوجه واحد وأنه هو أكمل من النبي ﷺ وهذا تلقاء من صاحب الفصوص وأمثال هذا في هذه الأوقات كثير، وسبب ضلال المتفلسفة وأهل التصوف والكلام الموافقة لضلالهم، وليس هذا موضع الاطناب في بيان ضلال هذا وإنما الغرض التنبيه على أن صاحب الفصوص وأمثاله قالوا قول هؤلاء

فأما كفر من يفضل نفسه على النبي ﷺ كما ذكر صاحب الفصوص فظاهر ولكن من هؤلاء من لا يرى ذلك ولكن يرى أن له طريقاً إلى الله غير اتباع الرسول، ويسوغ لنفسه اتباع تلك الطريق وإن خالف شرع الرسول، ويحتجون بقصة موسى والخضر

ولا حجة فيها الوجهين (أحدهما) أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ولا

كان يجب على الخضر اتباع موسى فان موسى، كان مبعوثاً الى بني اسرائيل وانه جاء في الحديث الصحيح « ان موسى لما سلم على الخضر قال واني بأرضك السلام ؟ قال أنا موسى، قال: موسى بني اسرائيل ؟ قال نعم، قال انك على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه . وأنا على علم من الله علمنيه لا تعلمه » ولهذا قال نبينا ﷺ « فضلنا على الناس بخمس : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً ، فأى رجل أدركته الصلاة فعنده مسجده وطهوره ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة (١) » وقد قال تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) وقال تعالى (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً) الآية فمحمد ﷺ رسول الله إلى جميع الثقلين : إنسهم وجنهم ، عربهم وعجمهم ، ملوكهم وزهادهم ، الأولياء منهم وغير الأولياء . فليس لأحد الخروج عن مبايعته باطنا وظاهراً ، ولا عن متابعة ما جاء به من الكتاب والسنة في دقيق ولا جليل ، لا في العلوم ولا الاعمال ، وليس لأحد أن يقول له كما قال الخضر لموسى ، وأما موسى فلم يكن مبعوثاً إلى الخضر

( الثاني ) ان قصة الخضر ليس فيها مخالفة للشريعة بل الامور التي فعلها تباح في الشريعة ، إذا علم العبد أسبابها كما علمها الخضر ، ولهذا لما بين أسبابها لموسى وافقه على ذلك ، ولو كان مخالفاً لشريعته لم يوافق به بحال .

وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضوع . فن خرق السفينة مضمونه ان المال المعصوم يجوز للانسان أن يحفظه لصاحبه باتلاف بعضه فان ذلك خير من ذهابه بالكلية كما جاز المراعي على عهد النبي ﷺ أن يذبح الشاة التي خاف عليها الموت . وقصة الغلام مضمونها جواز قتل الصبي الصائل ، ولهذا قال ابن عباس : وأما الغلمان فان كنت تعلم منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتنهم وإفلا تقتلهم . وأما إقامة الجدار

(١) لم يذكر الخامسة ، وفي بعض الاحاديث هي « ونصرت بالرعب مسيرة شهر »

خفيها فعل المعروف بلاجرة مع الحاجة إذا كان لذرية قوم صالحين

\*\*\*

(الوجه الثامن) أنه قال: ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط إلى آخر كلامه وهو متضمن أن العلم نوعان (أحدهما) علم الشريعة وهو يأخذه عن الله كما يأخذ النبي فإنه قال والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر وهو موضع اللبنة الفضية وهو ظاهره وما يتبعه فيه من الأحكام كما هو أخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه لأنه يرى الأمر على ما هو عليه فلا بد أن يراه هكذا ،

وهذا الذي زعمه من أن الولي يأخذ عن الله في السر ما يتبع فيه الرسل كأئمة العلماء مع أتباعهم ، فيه من الاتحاد ما لا يخفى على من يؤمن بالله ورسوله ، فإن هذا يدعي أنه أوتي مثل ما أوتي رسل الله ، ويقول أنه أوحى إلي ولم يوح إليه شيء ، ويجعل الرسل بمنزلة معلمي الطب والحساب والنحو وغير ذلك إذا عرف المتعلم الدليل الذي قال به معلمه فينبغي موافقته لمشاركتة له في العلم إلا لأنه رسول وواسطة من الله إليه في تبليغ الأمر والنهي . وهذا الكفر يشبه كفر مسيامة الكذاب ونحوه ممن يدعي أنه مشارك للرسول في الرسالة ، وكان يقول مؤذنه أشهد أن محمداً ومسيامة رسول الله ( والنوع الثاني ) علم الحقيقة وهو فيه فوق الرسول كما قال هو موضع اللبنة الذهبية في الباطن ، فإنه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول ، فقد ادعى أن هذا العلم الذي هو موضع اللبنة الذهبية وهو علم الباطن والحقيقة هو فيه فوق الرسول لأنه يأخذه من حيث يأخذ الملك العلم الذي يوحى به إلى الرسول ، والرسول يأخذه من الملك ، وهو أخذه من فوق الملك ، من حيث يأخذه الملك ، وهذا فوق دعوى مسيامة الكذاب ، فإن مسيامة لم يدع أنه أعلا من الرسول في علم من العلوم الإلهية ، وهذا ادعى أنه فوقه في العلم بالله

ثم قال : فان فهمت ما أشرت به فقد حصل لك العلم النافع . ومعلوم ان هذه الكفر فوق كفر اليهود والنصارى فان اليهود والنصارى لا ترضى أن تجعل أحداً من المؤمنين فوق موسى وعيسى ، وهذا يزعم هو وأمثاله ممن يدعي انه خاتم الاولياء انه فوق جميع الرسل ، وأعلم بالله من جميع الرسل ، وعقلاء الفلاسفة لا يرضون بهذه وانما يقول مثل هذا غلاتهم وأهل الحق منهم الذين هم من أبعاد الناس عن العقل والدين

\* \* \*

( التاسع ) قوله : فكل نبي من لدن آدم - إلى آخر الفصل - تضمن أن جميع الانبياء والرسل لا يأخذون إلا من مشكاة خاتم النبيين ، ليوطن نفسه بذلك أن جميع الانبياء لا يأخذون إلا من مشكاة خاتم الاولياء ، وكلاهما ضلال ، فان الرسل ليس منهم من يأخذ من آخر إلا من كان مأموراً باتباع شريعته كأنبياء بني اسرائيل والرسل الذين فيهم الذين أمروا باتباع التوراة كما قال تعالى ( إنا انزلنا التوراة فيها هدى ونور ) الآية

وأما ابراهيم فلم يأخذ عن موسى وعيسى ، ونوح لم يأخذ عن ابراهيم ، ونوح و ابراهيم وموسى وعيسى لم يأخذوا عن محمد وان بشروا به وآمنوا به كما قال تعالى ( واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ) الآية قال ابن عباس : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد وأخذ العهد على قومه ليؤمنن به ، ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه

\* \* \*

( العاشر ) قوله : فان تحقيقه موجود ، وهو قوله « كنت نبياً و آدم بين الماء والطين » بخلاف غيره من الانبياء ، وكذلك خاتم الاولياء كان ولياً و آدم بين الماء والطين . - كذب واضح مخالف لاجماع أئمة الدين ، وإن كان هذا يقوله طائفة من أهل الضلال والاحاد ، فان الله علم الاشياء وقدرها قبل أن يكونها ،

ولا تكون موجودة بحقائقها إلا حين توجد ولا فرق في ذلك بين الانبياء وغيرهم، ولم تكن حقيقته ﷺ موجودة قبل أن يخلق إلا كما كانت حقيقة غيره بمعنى أن الله علمها وقدرها، لكن كان ظهور خبره وسمه مشهوراً أعظم من غيره فإنه كان مكتوباً في التوراة والإنجيل وقبل ذلك، كما روى الامام أحمد في مسنده عن العرياض بن سارية، عن النبي ﷺ قال «إني أعبد الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي، رأيت حين ولدني كأنها خرج منها نوراً ضاءت له قصور الشام» وحديث ميسرة الفجر: قلت يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ وفي لفظي كتبت نبياً؟ قال «وآدم بين الروح والجسد» وهذا لفظ الحديث

وأما قوله «كنت نبياً و آدم بين الماء والطين» فلا أصل له، لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث بهذا اللفظ وهو باطل، فإنه لم يكن بين الماء والطين إذالطين ماء وتراب، وإنما خلق الله جسد آدم قبل نفخ الروح فيه كتب نبوة محمد ﷺ وقدرها، كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق «إن خلق آدم جعل في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات، فيقال: اكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح» وروي أنه كتب اسمه على ساق العرش ومصاريع الجنة (١) فإين الكتاب والتقدير من وجود الحقيقة؟ وما يروي في هذا الباب من الاحاديث هو من هذا الجنس مثل كونه كان نوراً يسبح حول العرش أو كوكباً يطالع في السماء ونحو ذلك كما ذكره ابن حمويه صاحب ابن عربي وذكر بعضه عمر الملا في وسيلة المتعبدين وابن سبعين وأمثالهم ممن يروي الموضوعات (١) أشار بقوله «بروي» إلى أن هذا ضعف غير صحيح كالذي قبله وأما «كنت نبياً و آدم بين الماء والطين» فإنه باطل روايته ومعني



المكذوبات باتفاق أهل المعرفة بالحديث . فان هذا المعنى رووا فيه أحاديث كلها كذب حتى انه اجتمع بي قديماً شيخ معظم من أصحاب ابن حمويه يسميه أصحابه سلطان الاقطاب وتفاوضنا في كتاب الفصوص وكان معظماً له واصحابه حتى أبدت له بعض ما فيه فإله ذلك وأخذ يذكر مثل هذه الاحاديث فينت له أن هذا كله كذب .

\*  
\* \*

( الحادي عشر ) قوله : وخاتم الولاية كان ولياً وآدم بين الماء والطين - الى قوله - فخاتم الرسل من حيث ولايته نسبته مع الختم للولاية كنسبة الاولياء والرسل معه - الى آخر الكلام - ذكر فيه ما تقدم من كون رسول الله ﷺ مع هذا الختم المدعى كسائر الانبياء والرسل معه يأخذ من مشكاته العلم بالله الذي هو أعلا العلم وهو وحدة الوجود انه مقدم الجماعة وسيد ولد آدم في فتح باب الشفاعة . فعين حالا خاصا ما عجم - الى قوله - ففاز محمد بالسيادة في هذا المقام الخاص اهفكذب على رسول الله ﷺ في قوله : انه قلل : سيد ولد آدم في الشفاعة فقط لا في بقية المراتب « بخلاف الختم المفترى فانه سيد في العلم بالله وغير ذلك من المقامات ولقد كنت أقول : لو كان المخاطب لنا ممن يفضل ابراهيم أو موسى أو عيسى على محمد ﷺ لكانت مصيبة عظيمة لا يحتملها المسلمون فكيف بمن يفضل رجلا من أمة محمد على محمد وعلى جميع الانبياء والرسل في أفضل العلوم ويدهي أنهم يأخذون ذلك من مشكاته ؟ وهذا العلم هو غاية الاحاد والزندقة . وهذا المفضل من أضل بني آدم وأبعدهم عن الصراط المستقيم ، وان كان له كلام كثير ومصنفات متعددة، وله معرفة باشياء كثيرة، وله استحواد على قلوب طوائف من أصناف المتفلسفة والمتصوفه والتكلمة والمتفقه والعامه ، فان هذا الكلام من أعظم الكلام ضلالا عند أهل الكلام والايان والله أعلم .

\*  
\* \*

وقد تبين ان في هذا الكلام من الكفر والتنقيص بالرسول والاستخفاف بهم والغض منهم والكفر بهم وبما جاؤا به مالا يخفى على مؤمن ، وقد حدثني أحد أعيان الفضلاء انه سمع الشيخ ابراهيم الجعبري رحمة الله عليه يقول : رأيت ابن عربي وهو شيخ نجس يكذب بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي أرسله الله . ولقد صدق فيما قال ، ولكن هذا بعض الانواع التي ذكرها من الكفر ، وكذلك قول أبي محمد بن عبد السلام : هو شيخ سوء مقبوح كذاب يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا - هو حق عنه لكنه بعض أنواع ما ذكره من الكفر ، فان قوله لم يكن قد تبين له حاله وتحقق ، وإلا فليس عنده رب وعالم كما تقوله الفلاسفة الالهيون الذين يقولون بواجب الوجود ، وبالعلم الممكن الوجود بل عنده وجود العالم هو وجود الله ، وهذا يطابق قول الدهرية الطبايعية الذين ينكرون وجود الصانع مطلقا ولا يقرون بوجود واجب غير العالم كما ذكر الله عن فرعون وذويه ، وقوله مطابق لقول فرعون ، اكن فرعون لم يكن مقراً بالله وهؤلاء يقرون بالله ، ولكن يفسرونه بالوجود الذي أقر به فرعون ، فهم أجهل من فرعون وأضل ، وفرعون أكفر منهم ، في كفره من العناد والاستكبار ما ليس في كفرهم ، كما قال تعالى ( وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ) وقال له موسى ( لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والارض بصائر ) وجماع أمر صاحب الفصوص وذويه هدم أصول الايمان الثلاثة فن أصول الايمان : الايمان بالله والايمان برسله والايمان باليوم الآخر . فاما الايمان بالله فزعموا ان وجوده وجود العالم ليس للعالم صانع غير العالم ، واما الرسول فزعموا انهم أعلم بالله منه ومن جميع الرسل ، ومنهم من يأخذ العلم بالله الذي هو التمطيل ووحدة الوجود : من مشكاته ، وانهم يساؤونه في أخذ العلم بالشرية عن الله . واما الايمان باليوم الآخر فقد قال :

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده وبالوعد الحق عين تعالين

وان دخلوا دار الشقاء فانهم على لذة فيها نعيم يبين

وهذا يذكر عن بعض أهل الضلال قبله انه قال : ان النار تصير لاهلها

طبيعة نارية يتمتعون بها ، وحينئذ فلا خوف ولا محذور ولا عذاب لانه امر

مستعذب ثم انه في الامر والنهي عنده الامر والناهي والمأمور والنهي واحد ،

ولهذا كان اول مقاله في الفتوحات المكية التي هي أكبر كتبه :

الرب حق والعبد حق ياليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك رب أو قلت رب أي يكلف ؟

وفي موضع آخر فذاك ميت ، رأيت به بخطه

وهذا مبني على اصله فان عنده ما ثم عبد ولا وجود الا وجود الرب فمن المكلف ؟

وعلى اصله هو المكلف كما يقولون ارسل من نفسه الى نفسه رسولا ، وكما قال ابن

الفارض في قصيدته التي نظمها على مذهبهم وسماها نظم السلوك :

إلي رسولاً كنت مني مرسلًا . وذاتي بآياتي علي استمدت

ومضمونها هو القول بوحدة الوجود ومذهب ابن عربي وابن سبعين

وامثالهم كما قال :

لها صلاتي بالمقام اقيمها وأشهد فيها انها لي صلت

كلانا مصلى عابد ساجد الى حقيقة الجمع في كل سجدة (١)

وما كان لي صلى سواي فلم تكن صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

الى قوله :

وما زلت إياها وإياي لم تنزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت

ومثل هذا كثير والله اعلم .

(١) البيت في ديوانه الذي بين الايدي هكذا :

كلانا مصلى واحد ناظر الى حقيقة الجمع في كل سجدة

وحدثني صاحبنا الفقيه الصوفي ابو الحسن علي بن قرباص انه دخل على الشيخ قطب الدين بن القسطلاني فوجده يصنف كتابا فقال : ما هذا ؟ فقال هذا في الرد على ابن سبعين وابن الفارض وابي الحسن الجربي والعميف التلمساني ، وحدثني عن جمال الدين بن واصل وشمس الدين الاصبهاني انهما كانا ينكران كلام ابن عربي ويبطلانه ويردان عليه وان الاصبهاني رأى معه كتابا من كتبه فقال : ان اقتنيت شيئا من كتبه فلا تجيء إلي ، او ما هذا معناه . وان ابن واصل لما ذكر كلامه في التفاحة التي انقلبت عن جوار معلم معها فقال : والله الذي لا إله الا هو يكذب . ولقد بر في يمينه .

وحدثني صاحبنا الفاضل أبو بكر بن سالار عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد شيخ وقته عن الامام ابي محمد بن عبدالسلام انهم سألوه عن ابن عربي ، لما دخل مصر ، فقال : شيخ سوء مقبوح يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا ، و كان تقي الدين يقول : هو صاحب خيال واسع . حدثني بذلك غير واحد من الفقهاء ممن سمع كلام ابن دقيق العيد . وحدثني ابن بحير عن رشيد الدين سعيد وغيره انه قال : كان يستحل الكذب ، هذا احسن احواله ، وحدثني الشيخ العالم العارف كمال الدين المراغي شيخ زمانه انه لما قدم وبلغه كلام هؤلاء في التوحيد قال : قرأت على العميف التلمساني من كلامهم شيئا فرأيت مخالفا لكتاب والسنة ، فلما ذكرت ذلك له قال القرآن ليس فيه توحيد بل القرآن كاه شرك ، ومن اتبع القرآن لم يصل الى التوحيد ، قال فقلت له : ما الفرق عندكم بين الزوجة والاجنبية والاخت والكل واحد ؟ قال لا فرق بين ذلك عندنا وانما هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حراما فقلنا هو حرام عليهم عندهم ، وأما عندنا فمأثم حرام

وحدثني كمال الدين بن اراغي انه لما تحدث مع التلمساني في هذا المذهب قال : وكنت أقرأ عليه في ذلك فانهم كانوا قد عظموه عندنا ونحن مشتاقون

إلى معرفة فصوص الحكم فلما صار يشرحه لي أقول هذا خلاف القرآن والاحاديث، فقال ارم هذا كله خلف الباب واحضر بقلب صاف حتى تتلقى هذا التوحيد — او كما قال — ثم خاف ان اشيع ذلك عنه فجاء الي با كياً وقال استر عني ما سمعته مني وحدثني ايضاً كمال الدين انه اجتمع بالشيخ ابي العباس الشاذلي تلميذ الشيخ ابي الحسن فقال عن التماساني: هؤلاء كفار هؤلاء يعتقدون ان الصنعة هي الصانع، قال وكنت قد عزمت على ان ادخل الخلوة على يده فقلت أنا لا آخذ عنه هذا وانما اتعلم منه ادب الخلوة، فقال لي: مثلك مثل من يريد ان يتقرب الى السلطان على يد صاحب الاتون والزبال فاذا كان الزبال هو الذي يقربه الى السلطان كيف يكون حاله عند السلطان؟

وحدثنا ايضاً قال قال لي قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد انما استولت التتار على بلاد المشرق لظهور الفلسفة فيهم وضعف الشريعة، فقلت له في بلادكم مذهب هؤلاء الذين يقولون بالاتحاد وهو شر من مذهب الفلاسفة؟ فقال قول هؤلاء لا يقوله عاقل بل كل عاقل يعلم فساد قول هؤلاء — يعني ان فساد ظاهر فلا يذكر هذا فيما يشتبه على العقلاء بخلاف مقالة الفلاسفة فان فيها شيئاً من المعقول وان كانت فاسدة

وحدثني تاج الدين الانباري الفقيه المصري الفاضل انه سمع الشيخ ابراهيم الجعبري يقول رأيت ابن عربي شيخاً مخضوب اللحية وهو شيخ نجس يكفر بكل كتاب انزله الله، وكل نبي ارسله الله. وحدثني الشيخ رشيد الدين بن المعلم انه قال كنت وانا شاب بدمشق اسمع الناس يقولون عن ابن عربي والخسر وشاهي ان كلاهما زنديق — او كلاماً هذا معناه — وحدثني عن الشيخ ابراهيم الجعبري انه حضر ابن الفارض عند الموت وهو ينشد:

إن كان منزلتي في الحب عنديم      ما قد لقيت فقد ضيقت ايامي  
أمنية ظفرت نفسي بها زمنا      واليوم احسبها اصغاث احلام

وحدثني الفقيه الفاضل تاج الدين الزنباري انه سمع الشيخ ابراهيم الجمبري يقول رأيت في منامي ابن عربي وابن الفارض وهما شيخان اعميان يمشيان ويتعثران ويقولان: كيف الطريق؟ اين الطريق؟ وحدثني شهاب الدين المزي عن شرف الدين بن الشيخ نجم الدين بن الحكيم عن ابيه انه قال قدمت دمشق فصادت موت ابن عربي فرأيت جنازته كأنما ذر عليها الرماد فرأيتها لا تشبه جناز الاولياء— اوقال— فعلمت ان هذا، وعن ابيه عن الشيخ اسماعيل الكوراني انه كان يقول ابن عربي شيطان، وعنه انه كان يقول عن الحريري انه شيطان، وحدثني شهاب الدين عن القاضي شرف الدين الباربي ان اياه كان ينهاه عن كلام ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين

## فصل

في بعض ما يظهر به كفرهم، وفساد قولهم . وذلك من وجوه (أحدها) ان حقيقة قولهم : ان الله لم يخلق شيئاً ولا ابتدعه ولا برأه ولا صوره ، لانه اذا لم يكن وجود إلا وجوده فمن المتنع أن يكون خالقاً لوجود نفسه ، أو بارئاً لذاته، فان العلم بذلك من أبين العلوم وأبدها للعقول ان الشيء لا يخلق نفسه ، ولهذا قل سبحانه ( أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون؟ ) فانهم يعلمون انهم لم يكونوا مخلوقين من غير خالق ، ويعلمون أن الشيء لا يخلق نفسه . فتعين ان لهم خالقاً ، وعند هؤلاء الكفار الملاحدة الفرعونية انه ما من شيء . يكون الرب قد خلقه وبرأه أو أبدعه إلا نفسه المقدسة ، ونفسه المقدسة لا تكون مخلوقة مبروبة مصنوعة مبروءة لامتناع ذلك في بدائه العقول ، وذلك من أظهر الكفر عند جميع أهل الملل ، واما على رأي صاحب الفصوص فائم إلا وجوده والذوات الثابتة في العدم الغنية عنه ، ووجوده لا يكون مخلوقاً والذوات غنية عنه فلم يخلق الله شيئاً

( الثاني ) ان عندهم ان الله ليس رب العالمين ولا مالك الملك او ليس الا وجوده وهو لا يكون رب نفسه ولا يكون الملك المملوك هو الملك المالك ، وقد صرحوا بهذا الكفر مع تناقضه وقالوا انه هو ملك الملك ، بناء على ان وجوده مفتقر إلى ذوات الاشياء ، وذوات الاشياء مفتقرة إلى وجوده ، فالاشياء مالكة لوجوده ، فهو ملك الملك

( الثالث ) ان عندهم ان الله لم يرزق أحداً شيئاً ، ولا أعطى أحداً شيئاً ، ولا رحم أحداً ، ولا أحسن إلى احد ، ولا هدى احداً ، ولا انعم على احد نعمة ، ولا علم احداً علماً ولا علم احداً البيان ، وعندهم في الجملة لم يصل منه إلى احد لا خير ولا شر ، ولا نفع ولا ضرر ، ولا عطاء ولا منع ، ولا هدى ولا اضلال أصلاً . وان هذه الاشياء جميعها عين نفسه ومحض وجوده . فليس هناك غير يصل اليه ، ولا أحد سواه ينتفع به ، ولا عبد يكون مرزوقاً أو منصوراً أو مهدياً

ثم على رأي صاحب الفصوص ان هذه الذوات ثابتة في العدم ، والذوات هي احسنت واساءت ، ونفعت وضررت ، وهذا عنده سر القدر . وعلى رأي الباقيين ما ثم ذات ثابتة غيره أصلاً ، بل هو ذام نفسه بنفسه ، ولا عن نفسه بنفسه ، وهو المرزوق المضروب المشتوم ، وهو الناكح والمنكوح والآكل وائماً كول ، وقد صرحوا بذلك تصریحاً بيناً

( الرابع ) ان عندهم أن الله هو الذي يركع ويسجد ويخضع ويعبد ويصوم ويجوع ويقوم وينام . وتصيبه الامراض والاسقام وتبتليه الاعداء ويصيبه البلاء وتشتهد به الأواء ، وقد صرحوا بذلك وصرحوا بأن كل كرب يصيب النفوس فانه هو الذي يصيبه . وانه اذا نفس الكرب فانما يتنفس عنه ، ولهذا كره بعض هؤلاء الذين هم من ا كفر خلق الله واعظمتهم نفاقاً وإلحاداً وعتواً على الله وعناداً أن يصبر الانس ان على البلاء لان عندهم هو المصاب المبتلى . وقد صرحوا بأنه

موصوف بكل نقص وعیب فانه ما تم من یتصف بالنقائص والعیوب غیره . فكل عیب ونقص وكفر وفسوق فی العالم فانه هو المتصف به لامتصف به غیره . كلهم متفقون علی هذا فی الوجود

ثم صاحب الفصوص یقول: ان ذلك ثابت فی العدم، وغیره یقول ما تم سوى وجود الحق الذي هو متصف بهذه المعایب والمثالب

( الخامس ) ان عندهم ان الذين عبدوا اللات والعزی ومناة الثالثة الاخرى والذين عبدوا ودا وسواع ویعوق ونسراً . والذين عبدوا الشعری والنجم والشمس والقمر والذين عبدوا المسیح وعزیراً والملائكة وسائر من عبد الاوثان والاصنام : قوم نوح وعاد ونمود وقوم فرعون وبني اسرائیل وسائر المشركين والعرب ما عبدوا إلا لله . ولا یتصور ان یعبدوا غیر الله، وقد صرحوا بذلك فی مواضع كثيرة مثل قول صاحب الفصوص فی فص الكلمة النوحية :

(ومكروا مكرًا كَبَّارًا) لان الدعوة إلى الله مكر بالمدعو ، لانه ما عدم من البداية فیدعی إلى الغایة (ادعوا إلى الله) هنا عدة المکر (علی بصیرة) ففيه أن الامر له كله فأجابوه مكرًا كما دعاهم۔ إلى إن قال۔ فقالوا فی مكرهم (لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا یغوث ویعوق ونسراً) فانهم إذا تركوهم جهلوا من الحق علی قدر ما تركوا من هؤلاء فان الحق فی كل معبود وجهها خاصا یعرفه من عرفه ويجهله من جهله فی المحمدين ( وقضى ربك ان لا تعبدوا إلا إياه ) أي حکم فالعالم یعلم من عبد وفي أي صورة ظهر حتی عبد وأن التفریق والكثرة كالأعضاء فی الصورة المحسوسة وكالقوى المعنوية فی الصورة الروحانية . فما عبد غیر الله فی كل معبود . فالادنی من تخیل فیة الالهية . فلولا هذا التخیل ما عبد الحجر ولا غیره . ولهذا قال تعالی ( قل سموهم ) فلو سموهم لسموهم حجراً وشجراً وكوكباً . ولو قيل من عبدتم لقالوا إلهاً واحداً كما كانوا یقولون الله ولا الآلهة ، والأعلى ما تخیل بل



قال هذا مجلى إلهي بذبغني تعظيمه فلا يقتصر. فالأدنى صاحب التخيل يقول: ( ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ) والأعلى العالم يقول (إنه إلهكم إله واحد فله أسلموا) حيث ظهر ( وبشر المحبتين الذين ) خبت نار طبيعتهم فقالوا « إلهها » ولم يقولوا « طبيعة » وقال أيضا في فص الهارونية: ثم قال هارون لموسى ( إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ) فتجعلني سبباً في تفريقهم ، فان عبادة العجل فرقت بينهم ، وكان فيهم من عبده اتباعاً للسامري وتقليداً له ، ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع موسى اليهم فيسألونه في ذلك ، فخشى هارون أن ينسب ذلك التفريق اليه ، فكان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل ، لعلمه بأن الله قد قضى أن لا يعبد إلا إياه وما حكم الله بشيء إلا وقع ، فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في انكاره وعدم اتساعه ، فان العارف من يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء ، فكان موسى يربي هارون تربية علم وإن كان أصغر منه في السن ، ولذلك لما قال له هارون ما قال رجع إلى السامري فقال ( فما خطبك يا سامري ) يعني فيما صنعت من عدوك إلى صورة العجل على الاختصاص - وساق الكلام - إلى أن قال - فكان عدم قوة إرداع هارون بالفعل أن تنفذ في أصحاب العجل بالتسليط على العجل كما سلط موسى عليه - حكمة من الله ظاهرة في الوجود ليعبد في كل صورة ، وإن ذهبت تلك الصورة بعد ذلك فما ذهبت إلا بعد ما تلبست عند عابدها بالالوهية ، ولهذا ما بقى نوع من الأنواع إلا وعبد ، اما عبادة تأله ، واما عبادة تسخير ، ولا بد لمن ذلك لمن عقل ، وما عبد شيء من العالم إلا بعد التلبس بالرفعة عند العابد والظهور بالدرجة في قلبه . ولذلك تسمى الحق لنا برفيع الدرجات ولم يقل رفيع الدرجة فكثير الدرجات في عين واحدة فانه قضى أن لا يعبد إلا إياه في درجات له كثيرة مختلفة أعطت كل درجة مجلى إلهيا عبد فيها وأعظم مجلى عبد فيه وأعلاه الهوى كما قال ( أفرايت من اتخذ إلهه

هواه) فهو أعظم معبود، فانه لا يعبد شيء إلا به ولا يعبد هو إلا بذاته. وفيه أقول :  
 وحق الهوى إن الهوى سبب الهوى ولولا الهوى في القلب ما عبد الهوى  
 ألا ترى علم الله بالأشياء ما أكله كيف تم في حق من عبد هواه واتخذها إلهاً  
 فقال ( وأضله الله على علم ) والضلالة الحيرة ، وذلك انه لما رأى هذا العابد ما عبد  
 إلا هواه بانقياده لطاعته فيما يأمر به من عبادة من عبده من الأشخاص ، حتى  
 إن عبادة الله كانت عن هوى أيضاً فانه لو لم يقع له في ذلك الجناب المقدس هوى  
 وهو الارادة بمحبة ما عبد الله ولا آثره على غيره ، وكذلك كل من عبد صورة  
 من صور العالم واتخذها إلهاً ما اتخذها إلا بالهوى ، فالعابد لا يزل تحت سلطان  
 هواه ثم رأى المعبودات تنوع في العابدين وكل عابد امرأ ما يكفر من يعبد  
 سواه ، والذي عنده أدنى تنبه لا يحار لاتحاد الهوى بل لاحدية الهوى كما ذكر فانه عين  
 واحدة في كل عابد ( فأضله الله ) أي حيره على علم بأن كل عابد ما عبد إلا هواه ،  
 ولا استعبده إلا هواه ، سواء صادف الامر المشروع أو لم يصادف ، والعارف المكمل  
 من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه. ولذلك سموه كلهم انه مع اسمه الخاص شجر  
 أو حجر أو حيوان أو انسان أو كوكب أو ملك هذا اسم الشخصية فيه والالوهية  
 مرتبة تخيل العابد له أنها مرتبة معبوده وهي على الحقيقة مجلى الحق ابصر هذا العابد  
 المعتكف على هذا المعبود في هذا المجلى المختص بحجر ولهذا قال بعض من لم يعرف  
 مقانه جهالة ( ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زانف ) مع تسميتهم اياهم آلهة . كما قالوا  
 ( اجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ) فما انكروا بل تعجبوا من ذلك فانهم  
 وقفوا على كثرة الصور ونسبة الالوهية لها ، فجاء الرسول ودعاهم الى الواحد يعرف  
 ولا يشهد ايضاً بشهادتهم أنهم أثبتوه عندهم واعتقدوه في قلوبهم ( ما نعبدهم إلا ليقربونا  
 الى الله زانف ) لعلمهم بأن تلك الصور حجارة ، ولذلك قامت الحجة عليهم بقوله  
 ( قل سموهم ) فما يسمونهم إلا بما يعلمون أن تلك الاسماء لهم حقيقة . كحجر وخبث و كوكب

وأمثالها، وأما العارفون بالأمر على ما هو عليه فيظنون صورة الانكار لما عبد من الصور  
 لأن مرتبتهم في العلم تعطيتهم أن يكونوا بحكم الوقت لحكم الرسول الذي آمنوا  
 به عليهم الذي به سمو مؤمنين ، فهم عباد الوقت ، مع علمهم بأنهم ما عبدوا من  
 تلك الصور أعيانها وإنما عبدوا الله فيها بحكم سلطان التجلي الذي عرفوه منهم ،  
 وجهله المنكر الذي لا علم له بما يتجلى ، وستره العارف المكمل من نبي أو رسول أو  
 وارث عنهم ، فأمرهم بالانتزاع عن تلك الصور لما انتزح عنها رسول الوقت اتباعاً  
 للرسول طمعاً في محبة الله إياهم بقوله ( قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم  
 الله ) فدعا إلى إله يصمد إليه ويعلم من حيث الجملة ولا يشهد ولا تدركه الابصار ،  
 بل هو يدرك الابصار للطفه وسريانه في أعيان الاشياء ، فلا تدركه الابصار كما  
 انها لا تدرك ارواحها المدبرة أشباحها ، وصورها الظاهرة ، فهو اللطيف الخبير ،  
 والخبرة ذوق ، والذوق تجلي والتجلي في الصور ، فلا بد منها ولا بد منه ، فلا بد أن  
 يعبد من رآه بهراه . ان فهمت هذا اه

فتدبر حقيقة ما عليه هؤلاء ، ففهم أجمعوا على كل شرك في العالم وعدلوا  
 بالله كل مخلوق وجوزوا ان يعبد كل شيء ومع كونهم يعبدون كل شيء فيقولون  
 ما عبدنا إلا الله ، فاجتمع في قولهم أمران : كل شرك ، وكل جحود وتعطيل مع ظنهم  
 أنهم ما عبدوا إلا الله ، ومعلوم أن هذا خلاف دين الرسلين كلهم وخلاف دين  
 أهل الكتاب كلهم ، والمثل كلها ، بل وخلاف دين المشركين أيضاً وخلاف ما فطر  
 الله عليه عباده مما يعقلونه بقلوبهم ويمجدونه في نفوسهم ، وهو في غاية الفساد وانتقاض  
 والسفسطة والجحود لرب العالمين

وذلك انه علم بالاضطرار أن الرسل كانوا يجعلون ما عبده المشركون غير الله ،  
 ويجعلون عبده عابد الغير الله مشركاً بالله عادلاً به جاعلاً له ندا . فانهم دعوا الخلق إلى  
 عبادة الله وحده لا شريك له . وهذا هو دين الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به

رسوله وهو الاسلام العام الذي لا يقبل الله من الاواوين والآخرين غيره، ولا يغفر لمن تركه بعد بلاغ الرسالة كما قال ( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ) وهو الفارق بين أهل الجنة وأهل النار والسعداء والاشقياء كما قال النبي ﷺ « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة » وقال « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله وجبت له الجنة » وقال « إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا وجد روحه لها روحاً وهي رأس الدين » وكما قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنني رسول الله، فإذا قولها عصمه وأمني دمايتهم وأموالهم إلا بجهتها وحسابهم على الله » وفضائل هذه الكلمة وحقائقها وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون ويعرفه العارفون ، وهي حقيقة الأمر كله كما قال تعالى ( وما أرسلنا من رسول نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ) فأخبر سبحانه أنه يوحى إلى كل رسول جنبي الألوهية عما سواه وإثباتها له وحده . وزعم هؤلاء الملاحدة المشركون أن كل شيء يستحق الألوهية كاستحقاق الله لها ، وقال تعالى ( واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون؟ ) وزعم هؤلاء الملاحدة أن كل شيء فإنه إله معبود . فأخبر سبحانه أنه لم يجعل من دون الرحمن آلهة . وقال تعالى ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) فأمر الله سبحانه بعبادته واجتناب الطاغوت . وعند هؤلاء : أن الطواغيت جميعها فيها الله أو هي الله ومن عبدها فما عبد إلا الله . وقال تعالى ( يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم ) الآيتين وأمر سبحانه بعبادة الرب الخالق لهذه الآيات . وعند هؤلاء الملاحدة الملائين هو عين هذه الآيات . ونهى سبحانه أن يجعل الناس له أنداداً وعندهم هذا لا يتصور فإن الأنداد هي عينه فكيف يكون ندأ لنفسه؟ والذين عبدوا الأنداد فما عبدوا سواه

ثم إن هؤلاء الملاحدة احتجوا بتسمية المشركين لما عبدوه إلهاً كما قال

( أجعل الآلهة إلهًا واحدًا؟ ) واعتقدوا أنهم لما سموهم آلهة كانت تسمية المشركين دليلًا على أن الهية الله لهم. وهذه الحجة قد ردها الله على المشركين في غير موضع كقوله سبحانه عن هود في مخاطبته للمشركين من قومه ( أتجادلونني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ) الآية هذا ردًا لقولهم ( أجتئنا لعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ) فأخبر رسول الله ﷺ أن تسميتهم إياها آلهة ومعبودين تسمية ابتدعوها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من حجة ولا سلطان، والحكم ليس إلا لله وحده، وقد أمر هو سبحانه أن لا يعبد إلا إياه، فكيف يحتج بقول مشركين لا حجة لهم؟ وقد أبطل الله قولهم؟ وأمر الخلق أن لا يعبدوا إلا إياه دون هذه الاوثان التي سماها المشركون آلهة، وعند الملاحدة عابدوا الاوثان ما عبدوا إلا الله ثم ان المشركين أنكروا على الرسول حيث جاءهم ليعبدوا الله وحده وينذروا ما كان يعبد آباؤهم، فإذا كانوا هم مزالوا يعبدون الله وحده كما تزعمه الملاحدة، فلم يدعوا إلى ترك ما يعبد آباؤهم هو وغيره من الانبياء؟ وكذلك قال سبحانه في سورة يوسف عنه ( يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان — إلى قوله — ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) وقال سبحانه ( أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى — إلى قوله — ولقد جاءهم من ربهم الهدى ) وهذه الثلاثة المذكورة في هذه السورة هي الاوثان العظام المباركة التي كان المشركون ينتابونها من أمصارهم، فاللات كانت حذو قديد بالساحل لأهل المدينة، والعزى كانت قريبة من عرفات لأهل مكة، ومناة كانت بالطائف لثقيف، وهذه الثلاثة هي أمصار أرض الحجاز

أخبر سبحانه أن الأسماء التي سماها المشركون أسماء ابتدعوها لا حقيقة لها، فهم إنما يعبدون أسماء لا مسميات لها، لأنه ليس في المسمى من الألوهية ولا العزة

ولا التقدير شيء ، ولم ينزل الله سلطانا بهذه الاسماء ، إن يتبع المشركون الاظنا  
لا يعني من الحق شيئا في أنها آلهة تنفع وتضر ويتبعوا أهواء انفسهم . وعند  
الملاحدة انهم اذا عبدوا أهواءهم فقد عبدوا الله ، وقد قال سبحانه عن امام  
الائمة و خليل الرحمن وخير البرية بعد محمد صلوات الله وسلامه انه قال لا ييه ( ياأبت لم تعبد  
ما لا يسمع ولا يبصر ولا يعني عنك شيئا\* ياأبت اني قد جاءني من العلم ما يأتك  
— الى قوله — فتكون للشيطان ولياً ) فنهاه وانكر عليه ان يعبد الاوثان التي  
لا تسمع ولا تبصر ولا تعني عنه شيئا

وعلى زعم هؤلاء الملحدين فما عبدوا غير الله في كل معبود فيكون الله هو  
الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يعني عنه شيئا وهو الذي نهاه عن عبادته وهو الذي  
أمره بعبادته . وهكذا قال احدق طواغيتهم الفاجر التمساني في قصيدته :

يا عاذلي انت تنهاني وتأمري والوجد اصدق نهاء وأمار  
فان اطعمك وأعص الوجد عذري عمى عن العيان الى اوهام اخبار  
وعين ما أنت تدعوني اليه اذا حقيقته تره المنهري يا جاري

وقد قال ايضا ابراهيم لأبيه ( يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان  
للرحمن عصيا ) وعندهم ان الشيطان مجلى الهى ينبغى تعظيمه ومن عبده فما عبد  
غير الله ، وليس الشيطان غير الرحمن حتى نعصيه ، وقد قال سبحانه ( ألم أعهد اليكم يا بني  
آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين\* وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم  
— الى قوله — يعقلون ) فنهاهم عن عبادة الشيطان وأمرهم بعبادة الله سبحانه ، وعندهم  
عبادة الشيطان هي عبادته ايضا ، فينبغى أن يعبد الشيطان وجميع الموجودات فانها عينه  
وقال تعالى أيضا عن امام الخلائق خليل الرحمن انه لما ( رأى كوكبا قال  
هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفان\* فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي ، فلما

(١) كذا في الاصل والبحر

أفل قال ابن لم يهدي ربي لأكون من القوم الضالين \* فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر، فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون \* إني وجهت وجهي - إلى قوله - وهم مهتدون ( وقال أيضا ) قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم - إلى قوله - حتى تؤمنوا بالله وحده ( وقال تعالى ( واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إني بريء مما تعبدون إلا الذي فطرني ) الآية . وقال تعالى ( أفرايتم ما كنتم تعبدون \* أنتم وآباءكم الاقدمون - إلى قوله - إذ نسويكم برب العالمين ) وقال تعالى ( إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟ قالوا نعبداً صنما فنظّل لها عاكفين - إلى قوله - قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين )

فهذا الخليل الذي جعله الله امام الأئمة الذين يهتدون بأمره من الانبياء والمرسلين بعدد وسائر المؤمنين قال ( إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً ) وعند الملاحدة الذي أشركوه هو عين الحق ليس غيره ، فكيف يتبرأ من الله الذي وجهه وجهه إليه ؟ وأحد الأمرين لازم على أصلهم إما أن يعبدوه في كل شيء من المظاهر بدون تقييد ولا اختصاص وهو حال المكمل عندهم فلا يتبرأ من شيء ، وإما أن يعبدوه في بعض المظاهر كنعيل الناقصين عندهم

وأما التبريء من بعض الموجودات فقد قال : ان قوم نوح لوتر كوهم لتركوا من الحق بقدر ما تركوا من تلك الاوثان، والرسول قد تبرأت من الاوثان فقد تركت الرسل من الحق شيئاً كثيراً وتبرؤا من الله الذي دعوا الخلق اليه، والمشركون على زعمهم أحسن حالا من المرسلين، لان المشركين عبدوه في بعض المظاهر ولم يتبرؤا من سائرهما، والرسول يتبرؤن منه في عامة المظاهر .

ثم قول ابراهيم ( وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض ) باطل على أصلهم، فانه لم يفطرها اذ هي ليست غيره، فما أجدرهم بقوله ( ألم تر إلى الذين أتوا

تصدياً من الكتاب يؤمنون بالجبوت والطاغوت ( الآية

ثم قول الخليل ( وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله )  
الآية وهذه حجة الله التي آتاها ابراهيم على قومه بقوله : كيف أخاف ما عبدتموه  
من دون الله ؟ وهي المخلوقات المعبودة من دونه ، وعندهم ليست معبودة من دونه ،  
ومن لم يقم بحقها فلم يخف الله ، والرسول لم يخفوا الله .

وقول الخليل ( انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به سلطاناً ) لم يصح عندهم فانهم لم  
يشركوا بالله شيئاً اذ ليس ثم غيره حتى يشركوا به ، بل المعبود الذي عبدوه هو الله  
وأكثر ما فعلوه انهم عبدوه في بعض المظاهر وليس في هذا أنهم جعلوا غيره  
شريكاً له في العبادة .

وقوله ( الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ) ورد في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود  
قال : لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا : أينما يظلم  
نفسه ؟ فقال النبي ﷺ « ألم تسمعوا الى قول العبد الصالح ( لا تشرك بالله ان  
الشرك اظلم عظيم ) » فقد أخبر الله ورسوله ان الشرك ظلم عظيم ، وان الامن هو  
لمن آمن بالله ولم يخلط ايمانه بشرك ، وعلى زعم هؤلاء الملاحدة فإيمان الذين  
خلطوا ايمانهم بشرك هو الايمان الكامل التام ، وهو إيمان المحقق العارف عندهم ،  
لان من آمن بالله في جميع مظاهره وعبدته في كل موجود هو أكمل ممن لم يؤمن  
بالامر حيث لم يظهر ، ولم يعبدته الا من حيث لا يشهد ولا يعرف (١) وعندهم

(١) يعنون بهذا الايمان بالغيب الذي هو أساس دين الله في القرآن وسائر  
الكتب الالهية . وهذا عندهم ادنى وانقص درجات الايمان بل هو عندهم باطل ،  
اذ لا موجود عندهم غير هذه المظاهر ، فكل العبادة عبادتها أو عبادة ما سمي الاله  
فيها كلها وهو هي ، ودون ذلك عبادته في بعضها كعبادة المسيح وغيره من البشر وعبادة  
العجل والاصنام فكذلك كثرت المعبودات كانت العبادة أكمل ، ولا يسمى هذا  
شركاً عندهم لان هذه كلها وسائر الموجودات هي واحد في نفسه متعدد في مظاهره .



لا يتصور أن يوجد الا في المخلوق، فمن لم يعبد في شيء من المخلوقات أصلاً فاعبده في الحقيقة، وإذا أطلقوا انه عبده فهو لفظاً لا معنى له، أي إذا فسروه فيكون بالتخصيص بمعنى انه خصص بعض المظاهر بالعبادة، وهذا عندهم نقص لا من جهة ما أشركه وعبده، وإنما هو من جهة ما تركه، فليس عندهم في الشرك ظلم ولا نقص الا من جهة قلته، و الا فاذا كان الشرك عاماً كان أكل وأفضل،

وكذلك أيضاً قول الخليل لقومه (إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله) تبرأ عندهم من الحق الذي ظهر فيهم وفي آلهتهم، وكذلك كفره به ومعاداته لهم كفر بالحق عندهم ومعاداة له.

ثم قوله (حتى تؤمنوا بالله وحده) كلام لا معنى له عندهم، فانهم كانوا مؤمنين بالله وحده، اذ لا يتصور عندهم غيره، وإنما غايتهم انهم عبدوه في بعض المظاهر وتركوا بعضها من غير كفر به فيها، وكذلك سائر ما قصه عن ابراهيم من معاداته لما عبده اولئك هو عندهم معاداة لله لانه ما عبد غير الله كما زعم الملحدون محتجين بقوله (وقضى ربك أن لا تعبدوا الا إياه) قالوا: وما قضى الله شيئاً الا وقع. وهذا هو الالحاد في آيات الله، وتحريف الحكم عن مواضعه، والكذب على الله، فان «قضى» هنا ليست بمعنى القدر والتكوين باجماع المسلمين بل وباجماع العقلاء حتى يقال ما قدر الله شيئاً الا وقع، وإنما هي بمعنى أمر، وما أمر الله به فقد يكون وقد لا يكون. فتدبر هذا التحريف، وكذلك قوله ما حكم الله بشيء الا وقع كلام مجمل فان الحكم يكون بمعنى الامر الديني وهو الاحكام الشرعية كقوله (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الانعام) الآية، وقوله (ومن أحسن من الله حكماً) وقوله (ذلكم حكم الله بينكم) ويكون الحكم حكماً بالحق والتكوين والعقل كقوله (لن أبرح الارض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي) وقوله (قل رب احكم بالحق)

